جامعة جنوب الوادي

كلية الآداب

قسم التاريخ

الفرقة الثالثة

من تاريخ بلاد الشام والأناضول القديم

إعداد

دكتوره / صفاء عبد الرؤوف الشيخ

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتوى

موقع سوريا الجغرافي
١- السهل الساحلي
٢- سلسه الجبال الغربية
٣- سلسة الجبال الشرقية
٤- منطقة البقاع
٥ – المناخ
٦- الصحراء السورية
عصور ما قبل التاريخ فى سوريا
تسمية سوريا
العلاقات السورية المصرية
الحوريون والميتانيون
مملكة يمخاد
الآموريون
مملكه مارى
بعض المظاهر الحضارية عند الاموريين
العلاقات المصرية السورية خلال الدولة الحديثة
الآموريين بين القوتين المصريين والحيثية
الموقف العراقى من التنافس المصرى الحيثى على سوريا

أولاً : موقف دولة بابل الكاشية :

ثانياً: موقف الدولة الآشورية :

العامل الاقتصادي في التنافس على سوريا بين دول الشرق الادنى القديم.

سكان بلاد الشام القديم

الكنعانيون

العبرانيون

المملكة العبرانية:

حالة المملكة بعد وفاة سليمان

المملكة الشمالية (اسرائيل)

المملكة الجنوبية يهوذا

الاناضول

الحيثيون

جغرافية بلاد الأناضول.

بعض المظاهر الحضارية عند الحيثيين

الممالك الحيثية الحديثة في شمال سورية

العصر الحثي الحديث

العلاقات السياسية الحيثية خلال عصر الإمبراطورية الآشورية الأولى (١١٩١-٧٤٥ق.م)

حملات شلمنصر الثالث الغربية (٨٥٨-٨٢٤ق.م)

علاقات خلفاء شلمنصر الثالث (٨٢٣-٧٤٦ ق.م) مع سوريا والاناضول

علاقة التورتان شمشي-ايلو مع الممالك الحثية في شمال سورية

موقع سوريا الجغرافي:

تقع سورية بين خطي طول ٣٧،٣١ شمالا وخطي طول٣٢،٤٠ شرقا ويلاحظ ويغلي على سطحها الأراضي المخصصة والمرتفعة بحيث تحذي بعضها بعضا وتتجه من الشمال الي الجنوب ويمكن تميز خمس مناطق طولية بها تقع بين البحر والبادية الفاصلة بينها وبين العراق وذلك علي النحو الاتي:

١- السهل الساحلي:

يمتد علي ساحل البحر المتوسط من مصر حتي خليج الاسكندرونة وينحصر هذا الاقليم بين البحر والجبل ويلاحظ ان القسم الشمالي من هذه المنطقة والذي يمتد من "مونت كليموس" الي "الكرمل" وتوجد فيه فينيقيا ومدرجات الليقانت اما المنطقة الجنوبية منه فهو يضم العديد من المدن والثغور مثل ارواد وطرابلس وجبيل وبيروت وصيدا وصور وعكا ويقتصر السهل الساحلي علي مجرد شريط ضيق.

٢- سلسه الجبال الغربية:

اما المنطقة الثانية فهي سلسة الجبال الغربية والتي تقع علي الساحل السوري.

٣- سلسة الجبال الشرقية:

شكلت السلسة الشرقية المنطقة الرابعة في تضاريس سورية وتبدا من جنوب حمص وتستمر موازية للجبال الغربية علي طول واحد وارتفاع واحد تقريبا ثم تنحدر من حرمون "جبل الشيخ" نحو هضبة حوران ومنطقة التلال في جولان حيث تستمر في شرق الادن في تلال

"جلعان" وهضبة مؤاب انوس شمالا وتمتد جنوبا الي سيناء واهم اجزائها جبال لبنان الغربية ، وشكل هذه المنطقة اول حاجز للمواصلات بين البحر وما يقع ورائه من الشرق.

٤- منطقة البقاع:

وهي منطقة البقاع التي تقع بين سلسة جبال لبنان الغربية والشرقية وتعرف هذه المنطقة باسم المنخفض السوري وهي عبارة عن منخفض كبير يتراوح عرضة بين ستة وعشرة اميال ويمتد من جنوب نهرينا الي خليج العقبة ويروي هذا المنخفض في جزئه العلوي نهر العاصي اما في الجنوب حيث ينبع العاصي فيوجد السهل المعروف سورية البقاع.

٥- الصحراء السورية:

اما المنطقة الخامسة فهي الصحراء السورية وتمتد بين وادي الفرات والمنخفض السوري الكبير ، وهي تفصل بلاد الشام عن العراق كما تفصل بين طرفي الهلال الخصيب ويعرف القسم المجاور للعراق بـــ"بادية الجزيرة" او "بادية ما بين النهرين" ، اما القسم الجنوبي فكان يدعي باسم "بادية العراق" او "السمادة" والقسم الجنوبي الغربي من بادية الشام فيعرف باسم الحماد وسطحه حجري في بعض اجزائه ورملي في اجزائه الأخرى ، ويغطيه العشب في الربيع ، ويبلغ عرض هذه البادية في اوسع مناطقها ٨٠٠ميل وعاش عليها الرعاة الرحل علي المراعي التي تغطي هذه المنطقة في الربيع وكانت تطرقها منذ اقدم العصور الالاف القوافل التي تتخذ طريقها من حلب ودمشق والبترا الي بابل

والخليج العربي لتبادل المحاصيل ونقل المتاجر كما شيدوا بعض المدن مثل تدمر الواقعة علي الطريق عبر البادية.

– المناخ:

تكاد تظهر في مناخ الاقليم السوري مميزات مناخ اقليم البحر المتوسط والصفة السائدة فيه تناوب فصل ممطر يبدا من نوفمبر وحتي نهاية مارس "اذار" مع فصل جاف يشمل بقية السنه وعند هبوب الرياح الغربية السائدة علي البحر المتوسط تمتلئ بالرطوبة وعندما تتقابل مع جبال لبنان ومنطقة التلال الوسطي في فلسطين ترتفع وبارتفاع الهواء فانه ينحدر ويسقط في شكل امطار وكان لذلك اثر في ان المنطقة الساحلية علي السفح الغربي لجبال سورية تتلقي اكبر كمية من الامطار وتتناقص كمية الامطار وفقا لدرجة الابتعاد من الغرب نحو الشرق ومن الشمال نحو الجنوب.[1]

عصور ما قبل التاريخ فى سوريا:

تقسيم العصور الحجرية في بلاد الشام الى عدة مراحل زمنية هي:

١. العصور الحجرية القديمة (Palaealithic)

أ. المرحلة الاولى (حوالي ١,٥٠٠,٠٠٠–١٠٠,٠٠٠ سنة مضت)

ب. المرحلة الثانية (حوالي ١٠٠,٠٠٠–٤٠,٠٠٠ سنة مضت)

ج. المرحلة الثالثة (حوالي ٤٠,٠٠٠–١٩,٠٠٠ سنة مضت)

---

[1]- احمد امين سليم: تاريخ الشرق الأدنى القديم "مصر وسوريه القديمة "دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٧ص٣٣١-٣٣٧.

٢. المرحلة الانتقالية بين الانسان الجامع للقوت وبين الانسان المنتج للقوت وبوادر الزراعة (Epi- palaeolithic) وتشمل الثقافات التالية:

أ. الثقافة الكبارية (حوالي ١٧,٠٠٠-١٠,٠٠٠ ق.م)

ب. الثقافة النطوفية (حوالي ١٠,٠٠٠-٨,٥٠٠ ق.م)

٣. مرحلة القرى الزراعية (Neolithic)

وتقسم الى مرحلتين فرعيتين.

أ. العصر الحجري الحديث المبكر (حوالي ٨٥٠٠-٥٥٠٠ ق.م)

ب. العصر الحجري الحديث المتأخر (حوالي ٥٥٠٠- ٤٠٠٠ ق.م)

٤. القرى الزراعية الحرفية في العصر الحجري النحاسي (حوالي ٤٠٠٠-٣٢٠٠ ق.م).

أما بخصوص اقدم بقايا الأنسان العظمية في بلاد الشام فكان يعتقد سابقاً انها تعود لأنسان من نوع نياندرتال وهي التي وجدت في كهوف جبل الكرمل مثل مغارة الطابون ومغارة السخول في فلسطين ، ولكن التنقيبات الحديثة التي جرت في سوريا ابانت ان أقدم بقايا عظمية لأنسان عاش في هذه المنطقة تعود لأنسان من النوع المعروف باسم الهومو-ايركتوس (Homo-Erectus) والذي وجدت اثاره في حوض نهر الكبير الشمالي على الساحل وكذلك عثر على بقايا هذا النوع من الانسان في تل العبيد في فلسطين وكانت عبارة عن جمجمة بشرية واثنين من الاسنان كبيرة الحجم ، كما عثر في حوض نهر العاصي على ادوات حجرية تمثل قواطع وفؤوس يدوية وشظايا يعود تاريخها الى الدور الاشولي من

العصر الحجري القديم الادنى، ولكن ليس لدينا دليل أخر من مواقع سورية اخرى على ان مثل هذا النوع من الانسان قد سكنها . ومما تجدر الاشارة اليه هنا الى انه لم يعثر لحد الان على بقايا انسانية عظمية في العراق تعود لهذا العصر، ولكن عثر على ادوات حجرية تعود الى الدور الاشولي وهو الدور الثالث من ادوار هذا العصر في الموضع المعروف باسم برده بلكا في شمال العراق قرب جمجمال .

وفي العصر الحجري القديم الأوسط (حوالي ١٠٠,٠٠٠-٤٠,٠٠٠ سنة مضت) حل انسان من نوع نياندرتال محل انسان (الهومو-ايركتوس) حيث كشف عن بقاياه في مغاور جرف العجلة والدوارة في تدمر وفي موقع ام التلال في حوض الكوم وملاجيء يبرود في ضواحي دمشق وفي مغارة الديدرية في وادي عفرين شمال غرب حلب اذ عثر في هذه المغارة على اكمل الهياكل النياندرتالية التي تم العثور عليها غي بلاد الشام لحد الان.

وقبل ان ينتقل الانسان في بلاد الشام الى العصر الحجري الحديث انتقل من العصر الحجري القديم الى مرحلة زمنية فاصلة بين العصرين (القديم والحديث) وهي المرحلة المعروفة في تاريخ العراق القديم باسم العصر الحجري الوسيط، بينما اطلق عليه في بلاد الشام اسم الدور (النطوفي) وتعاصره قرية زاوي-جمي في الشمال العراقي.

لقد عثر على اولى البقايا الاثارية والادوات الصوانية الخاصة في هذا الدور في كهف الشقبه الواقع في وادي النطوف بالقرب من القدس ، مما حدا بالباحثين ان يعتبروا هذا الدور خاصاً بفلسطين وحدها دون

غيرها من مناطق بلاد الشام، ولكن هذا الرأي لم يعد مقبولاً الآن خاصة بعد اعمال التحريات والتنقيبات الآثارية الحديثة والتي اظهرت ان لهذا الدور انتشاراً واسعاً امتد من سواحل البحر الابيض المتوسط الجنوبية وحتى بلاد الاناضول في الشمال مروراً بمناطق الاردن والبادية السورية وحوض الفرات ، ومن مواقع هذا الدور تلك التي تقع في البقاع (جبل السيدية) ومريبط على الضفة الشرقية من نهر الفرات شرق حلب ووادي فلاح.

استطاع الانسان في نهاية هذا الدور من تحقيق الانجاز العظيم بمعرفته للزراعة وتدجين الحيوان مع بداية الالف التاسع ق.م حيث كانت بلاد الشام احد مراكز العالم القديم التي شهدت ظهور القرى الزراعية الولى في العصر الحجري الحديث وبقي الباحثون وحتى نهاية الثمانينات من القرن الماضي، يستشهدون بوادي النطوف فقط عند الحديث على تلك الحقبة التاريخية التي شهدت معرفة الزراعة وتدجين الحيوان والواقعة ما بين الألف العاشر والألف الثامن ق. م متجاهلين مواقع اخرى احتوت على بيوت دائرية مثل (عين الملاحة) في فلسطين و(رأس زين) و(رأس حريسة) في صحراء النقب وهي قرى مضاهية الى ما عثر عليه لاحقاً في مريبط وبقرص وابي هريرة في سوريا. في حين ادى التعرف الى عمارة مستوطن نمريك في اعالي نهر دجلة بالقرب من ناحية فايدة شمالي العراق الى حدوث تجديد في الافكار السابقة حول الحضارة النطوفية باعتبارها حضارة محلية خاصة بفلسطين حيث ابان هذا الموقع بانه موقع له علاقة في المرحلة التي شهدت الانتقال من جمع القوت الى

بدايات انتاجه وكذلك الأمر ينسحب على موقع (قرمز دره) قرب تلعفر في الموصل والذي هو يضاهي في زمنه المرحلة التي سبقت انتاج القوت، ولذلك كان هناك تشابه وتقارب زمني واضح بين المواقع الشامية في فلسطين وبين مواقع شمال العراق.

ومع بداية دخولنا الى العصر الحجري الحديث في بلاد الشام يظهر لنا موقع اريحا (تل السلطان) الواقع الى الشمال من منطقة البحر الميت والذي نقب من قبل عدة بعثات اجنبية ولمرات عديدة وكان من أهم نتائج تلك التنقيبات هو تثبيت العصر الحجري الحديث في المنطقة وتم التمييز بين مرحلتين مختلفتين في صناعة الفخار مع رصد سور دفاعي بالقرب من المستوطن ، والحقيقة ان موقع اريحا يمثل ثقافة لها خصوصيتها وسماتها المميزة وقد انتشرت هذه الثقافة الى مواقع تقع الى الشرق منها والى جنوب شرق اسيا الصغرى.

لقد قسم العالم جاك كوفان (J.Cuvan) العصر الحجري الحديث في بلاد الشام تقسيما خاصاً يعتمد على ثلاث مراحل تاريخية وكما يلي:

١) العصر الحجري الحديث (القديم): وزمنه حوالي (٨٧٠٠-٨٢٠٠ ق.م)
٢) العصر الحجري الحديث (الاوسط): وزمنه حوالي (٨٢٠٠-٧٥٠٠ ق.م)
٣) العصر الحجري الحديث (الحديث): وزمنه حوالي (٧٥٠٠-٧٠٠٠ ق.م)

وتعاصر هذه المرحلة الاخيرة من هذا العصر قرية جرمو الزراعية في شمال العراق اذ شهدت هذه المرحلة التحول الكبير الى الزراعة وتدجين الحيوان والتي امتدت الى المناطق الساحلية والمعتدلة المناخ من سوريا الشمالية والى البادية الداخلية .

لقد تمثل هذا العصر في عدة مواقع ومنها مريبط وتل ابو هريرة وتل الرماد في سوريا ومجدو (تل المتسلم) الواقع في شمال جبل الكرمل في فلسطين حيث اوضحت التنقيبات التي تم اجراؤها في تلك المواقع خلال السبعينات والثمانينات من القرن الماضي عن حدوث تغيرات جذرية في البنية الاقتصادية للأنسان في انتاجه للقوت أو في الممارسات الطقسية مثل عبادة (الألهة الام) و(الثور المقدس) ، وكذلك في ممارسة عقيدة عبادة الاجداد او ما تسمى (عبادة الجماجم).

ومع بداية التسعينات من القرن العشرين تم اجراء تنقيبات جديدة في مواقع اثارية تقع في وادي الفرات السوري ومنها ما قامت به بعثة اسبانية سورية مشتركة عملت في موقع (حالوله) الذي يقع على الضفة اليمنى لنهر الفرات قرب مدينة جرابلس الحالية. واظهرت نتائج تلك التنقيبات على ان حالولة كانت موقعاً استمر فيه السكن بين الألف العاشر وحتى دور حلف في الالف السادس ق.م وقدم هذا الموقع معطيات جديدة منها اقتصادية في معرفتة للزراعة والتدجين، ومنها تقنية في طريقة صناعة ألات وادوات حجرية جديدة تستخدم في الحياة اليومية بعد معرفة الأنسان للعملية الزراعية في هذا الموقع.

واذا ما انتقلنا الى موقع (أم التلال) في حوضة الكوم في سورية الوسطى بين تدمر والفرات نرى ان هناك تسلسلاً نموذجياً في الطبقات الآثارية يعطيه هذا الموقع من خلال تتابع السكن فيه منذ العصر الحجري القديم الادنى وحتى ظهور الرعاة الاوائل والفلاحين في العصر الحجري الحديث وقد اتاح هذا التسلسل الزمني الاستثنائي والطويل للموقع دراسة تطور المهارات التقنية للأنسان في صنع آلاته وأدواته الحجرية ومعرفة السلوك الاقتصادي للجماعات التي عاشت فيه منذ السكن الأول وحتى ظهور الأنسان العاقل فيه.

يمثل تل بقرص (٦٤٠٠-٥٩٠٠ ق.م) الواقع على بعد ٤٠ كم جنوبي مدينة دير الزور على الضفة اليمنى للفرات الاوسط مستوطنا مثالياً من مستوطنات العصر الحجري الحديث حيث عثر في هذا الموقع على اسس لبيوت سكنية عديدة مبنية بالطين وتشكل صفين متقابلين مع بعضها وفي داخل تلك البيوت عثر على مواقد للطبخ وتنانير للخبز ومجموعة من الاقداح الحجرية التي تتشابه بطرازها الفني والتقني على ما عثر عليه في تل الصوان وأم الدباغية في بلاد الرافدين اذ يميل بعض الباحثين الى الاعتقاد بأن مثل هذه الصناعة الحجرية هي صناعة ينفرد بتقنيتها صناع بقرص وانتقلت منهم الى مواقع بلاد الرافدين السالفة الذكر. ومهما يكن من امر فان تلك الصناعة اعطتنا دليلا اكيداً وثابتا على وجود صلات حضارية وعلاقات تجارية ما بين بلاد الرافدين وبلاد الشام في هذه المرحلة الومنية المبكرة من التاريخ وخصوصاً مع قرية جرمو من خلال تشابه اشكال الآلات والأدوات الحجرية المكتشفة فيها مع

مثيلاتها في بقرص. فضلاً عن ذلك فان مستوطنة تل الدامشلية في وادي البليخ في سوريا الشمالية وموقع تل اسود المجاور لها تعطي لنا تشابهاً واضحاً في فخارياتها مع فخار يارم تبه وام الدباغية شمال العراق ، كما ان نماذج لأشكال فخارية أخرى عرفت في شمال سوريا واعالي الفرات في وادي الرافدين تعود فتظهر في الساحل الفلسطيني مما يدلل على وجود تأثير واضح لهذه النماذج امتد الى مواقع لبنان حيث عثر على اشكال منها في جبيل تعود بزمنها الى العصر الحجري الحديث واستمرت في الاستعمال في عصر فجر السلالات.

ان انتشار الفخار ذو الصفات المشتركة في مناطق عديدة من بلاد الرافدين وبلاد الشام لم يكن بمحض صدفة انما هو دليل مادي على قيام صلات بين التجمعات السكنية في هذه المنطقة منذ العصور الحجرية القديمة حيث بدأت تتوضح الدلائل المادية على وجود وشائج وصلات بين تلك التجمعات اعتباراً من العصر الحجري الحديث بعد تزايد الفعاليات البشرية نتيجة الاستقرار الذي حتمه الاهتداء للزراعة وتدجين الحيوان وبالتالي نشوء المجتمعات الزراعية، وهذا ما توضحه التنقيبات الحديثة التي بدأت عام ١٩٩١م في تل خزنة II الواقع على بعد ٢٥ كم شمال شرق الحسكه ، فمن خلال النماذج الفخارية المكتشفة في هذا التل تتوضح لنا الصلات الحضارية بين بلاد الرافدين وبلاد الشام في هذه المرحلة الزمنية واكدت لنا نتائج التنقيبات على وجود حلقة وصل بين ما يسمى بـــ (حضارة تل سوتو) والتي كانت تسبق زمنياً دور حسونة مع مراكز الحضارات الزراعية في شرق سوريا حيث ان نشوء المجتمعات

الزراعية متصلة ببعضها من هذا الموقع حتى شمال بلاد الرافدين يبرهن على تكون نظم للاتصالات التجارية والحضارية فيما بين تلك المراكز.

لقد جلبت بعض المواد الاولية التي كانت تفتقر اليها بيئة بلاد الرافدين من بلاد الشام مثل المرمر وبعض الاحجار مثل الفيروز وبعض انواع من اصداف البحر المتوسط والتي وجدت كميات منها في بعض من قبور الدفن في بلاد الرافدين، كما وجدت انواع من الحجارة الخضراء ومواد أخرى كالاخشاب التي كانت متوفرة في بيئة بلاد الشام، ومن المعتقد ان الطريق الذي كانت تنقل عبره تلك المواد كان يمر في السهول الداخلية ماراً بمنطقة اعالي الجزيرة في الاماكن الواقعة بين تلول بقرص ومريبط وطابات الحمام على الفرات الاعلى باتجاه نينوى وحسونة وام الدباغية في جزيرة العراق الشمالية، لذلك كانت تلك المواد في تل الرماد بسوريا وفي اريحا الفلسطينية وقرية جرمو العراقية من نفس الدور تتشابه مع بعضها البعض من حيث طرازها وصناعتها.

أما على صعيد المعتقدات الدينية في العصر الحجري الحديث فقد دلت المكتشفات الآثارية التي جرت منذ الستينات من القرن الماضي ان هناك اهتماما واضحاً ابالجماجم البشرية حيث اصبحت تلك الجماجم لا تدفن وانما كانت تفصل عن الرأس وتعامل بالجص وتثبت على تماثيل طينية ويحتفظ بها بتقديس داخل بيوت السكن. لقد وجدت مثل هذه الجماجم في مواقع عديدة مثل اريحا والبيضا وبيسامون وابو غوش في فلسطين وقرمز ديره في العراق وابو هريرة وتل الرماد في سوريا وهذا يؤكد على ان هذه العقيدة (عبادة جماجم الأموات) قد سادت على امتداد

المواقع الشامية وصولاً الى مواقع اعالي دجلة في شمال العراق ما بين الالف التاسع والسابع ق. م، وهذا دليل آخر على الصلات الحضارية فيما بين المنطقتين في مجال العقائد والطقوس الدينية.

وينبغي علينا القول هنا ان النتاج الحضاري وابتداءاَ من العصر الحجري الحديث وبوجه عام في منطقة الشرق القديم بدأت تتضح فيه ظاهرة الاتصال الحضاري بين مختلف اقاليمه بعد ان بدأ الانسان يخرج من نطاق دائرته المحلية ويتصل بالتجمعات السكانية المجاورة له فاكتسب تجارب اوسع وتأثرت التجمعات السكانية لهذه المرحلة بعضها مع بعض مما أدى الى بلورة مجتمعات في اطار مقومات حضارية خاصة بها حيث ظهرت مثل هذه الخصوصية الحضارية جلية في بداية العصور التاريخية فيما بعد.

ينتهي العصر الحجري الحديث في العراق في حدود عام ٥٦٠٠ ق. م ليبدأ العصر الحجري المعدني والذي تشير تسميته الى حقيقة ان سكان وادي الرافدين بدأوا يعرفون استعمال المعادن، في حين تشير الأدلة الآثارية الى ان معرفة المعادن قد تأخر نسبياً في بلاد الشام الى حدود ٤٠٠٠ ق.م فكان التقدم الحضاري خلاله تدريجياً ولم يظهر مرة واحدة وبصورة واضحة في كل مكان، ووضح هذا التقدم في منطقة البحر الميت وشمال النقب وساحل البحر المتوسط وعمت في اكثر المناطق الشامية حضارة متماثلة عرفت باسم (الحضارة الغسولية) نسبة الى اسم (تليلة الغسول في السهل الممتد شمال البحر الميت وشرق نهر الاردن).

لقد اجريت اعمال التنقيبات في مواقع متعددة للكشف عن الحضارة الغسولية، فوجدت اثارها في اريحا ومجد و(تل المتسلم) والعفولة وبيت شان (بيسان) ولاخيش (تل الدوير) واوغاريت وجبيل (بيبلوس) حيث اتضح من نتائج اعمال التنقيبات ان الحضارة الغسولية في فلسطين تقابل حضارة حلف في بلاد الرافدين والبداري في مصر.

حدثت في هذا العصر سلسلة من التطورات الحضارية وامكن حصرها في ادوار تتميز بطرز صناعة اوانيها الفخارية، وكذلك فان هذا العصر قد تميز بازدياد القرى الفلاحية واتساعها وكانت نواة للمدن التي برزت لنا في العصور التأريخية التالية وكانت السمة المهمة لهذه العصر ان الزراعة اصبحت تعتمد على الري.

تعد منطقة نهر الخابور هي الميدان الاول والمهم لأحداث هذا العصر في سوريا، في حين كانت مواقع حسونة وسامراء وحلف شمالاً والعبيد والوركاء وجمدة نصر جنوباً هي أهم مواقع هذا العصر بالنسبة لبلاد الرافدين ، وقد اثبتت الابحاث الآثارية والانثروبولوجية عن وجود صلات حضارية بين بلاد الرافدين وبلاد الشام في دور حسونة اذ اشارت الدراسات الانثروبولوجية الى ان الجماجم التي تمت دراستها من موقع حسونة تشبه تلك الجماجم التي عثر عليها في جبيل (بيبلوس) وأريحا والتي تكون اسنانها طويلة وهي صفة يتميز بها جنس البحر المتوسط ذي الرؤوس الطويلة ايضاً وهذا يبرهن لنا على وجود نوع من الصلات البشرية بين سكان المنطقتين، ولا يستبعد ان تكون المنطقة الممتدة من البحر المتوسط الى المنطقة الشمالية من العراق قد سكنت من قبل

جماعات ذات أصل عرقي واحد او حصلت تنقلات بين المجاميع السكانية من منطقة الى اخرى.

ويقدم لنا موقع جوخه مامي الذي يعود الى دور سامراء دليلاً حضاريا أخيراَ يشير الى الصلات الحضارية القوية بين شمال العراق وسوريا ويتمثل هذا الدليل بالرؤوس المصبوغة ذان العيون التي تشبه حبة القهوة وتكون اهدابها ملونة، فضلاً عن القبعة المخروطية وبعض انواع الحلي مثل سدادات الأنف او الشفه ومثل هذا الطراز الفني للتماثيل نجده شائعاً في مواقع سورية مثل شاغار بازار وتل حلف وفيما بعد وجدت مثل هذه النماذج في مواقع بعيدة اخرى مثل جطل هيوك في اسيا الصغرى وتبه سراب في غرب ايران وهذا يؤكد الصلات الحضارية بين شمال العراق والاقطار المجاورة له.

كما زودتنا نتائج التنقيبات التي جرت في موقع حمام التركمان وصبي ابيض على البليخ في عام ١٩٨٦ بفخاريات ذات تقنية صناعية متأثرة بفخاريات سامراء العراقية واوضحت صلة منطقة البليخ الشامية مع بلاد الرافدين في هذا الدور الحضاري.

يبدأ التاريخ السياسي لبلاد الشام مع دخول الأقوام الجزرية (الأموريون ، الكنعانيون) في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد ، حيث شرعت هذه الأقوام حال دخولها بوضع اللمسات الأولى للتاريخ السياسي للبلاد ، ولكن ذلك اتخذ في بادئ الأمر طابعا بدائيا ، فتلك الأقوام لم تكن قادرة على ما يبدو أن تلم أجزاءه المشتتة المتباينة في دولة واحدة

فبقيت البلاد مقسمة إلى الكثير من المناطق يحكمها شيوخ قبائل وأمراء يعيشون في مدن صغيرة ، وتحيا قبائلهم حياة تلائم البيئة التي سكنوها.

تسمية سوريا :

ترد بلاد سوريا بأسماء مختلفة في نصوص بلاد ما بين النهرين والنصوص المصرية القديمة وفي التسمية التي أطلقها العرب علي المنطقة (بلاد الشام) وهذه التسميات عموما تتعامل مع بلاد سوريا علي أنهار رقعة جغرافية واحدة فقد عرفت بلاد سوريا في النصوص المسمارية العراقية باسم (امورو) وردت في كتابات الملك الأشوري أسرحدون (٦٨٠-٦٦٩ ق.م) باسم بلاد ختي ، أما في النصوص المصرية القديمة فقد سميت بلاد (رتنو) وهي كلمة مصرية غامضة في اشتقاقها كانت تطلق علي بلاد سوريا ، وأطلق سكان شبه جزيرة العرب اسم بلاد الشام علي كل المنطقة الواقعة شرق البحر المتوسط وورد في المعاجم العربية انها سميت بلاد الشام لأنها عن شمال الكعبة ، أو لشؤمها أو أنها جمع شامة لكثرة قراها التي شبهت بالشامات لأن الملاح علي كتاب العرب أنهم عندما يكتبون عن الروم فانهم يوردون اسم سوريا كأن لفضة سوريا تعني اسم الشام بلغة أجنبية

وشمل اسم سوريا المساحة الواقعة بين جبال طوروس سيناء بين البحر المتوسط والبادية بضمنها فلسطين ولم يرد هذا الاسم في النص العبري الأصلي للعهد القديم ولكنها استعملت في الترجمات العبرية اللاحقة للدلالة علي الممالك الأرامية والأراميين ، ويعتقد أن اسم سوريا

مشتقة من اسم أحد ألهة بلاد الأناضول واسمه سوريا أو أن لفضة سوريا مشتقة من اسم مدينة صورا أو سور الفينيقية ذات الأصل الجزري فيما يري بعض الباحثين أن أصل التسميه من أشوري بعد قلب الشين الي سين ، وهو الرأي الأكثر قبولا كما يحتمل أن يكون اسم سوريا مشتق من النساطرة السريان ، استعملت كلمة سريون في المصادر العبرية أولي لإقليم لبنان (جبال لبنان الشرقية) ثم أطلقت علي الكل وكانت احدي مناطق شمالي العراق معروفة عند البابليين باسم سوري ، أما عند الكتاب الكلاسيكيين فقد وردت تسمية سوريا للدلالة علي المنطقة الخصبة الممتدة بين البحر المتوسط سلسلة جبال طوروس والفرات والبادية في الجنوب الشرقي[٢].

واسم سوريا قديما ظهر اسم سوريا في مصادر أوجاريت من أوائل القرن الرابع عشر ق.م تحت مسمي شرين وكانت احدي مناطق شمالي الفرات معروفة عند البابليين باسم سوري su–ri وفي العبرية أطلق اسم سيريون علي منطقة شرقي لبنان ، استخدم هذا الاسم فيما بعد ليشمل البلاد كلها. وذكر اسم سوريا لأول مرة عند هيرودوت وظل مستخدما في العصور اليونانية وما بعدها وتوسع في استعمالها وأطلق علي البلاد كلها واستخدم بهذا المعني حتي نهاية الحرب العالمية الأولي وقد شمل عموما المساحة الواقعة بين جبال طوروس وسيناء وبين البحر المتوسط والبادية.

---

[٢] - قيس حاتم الجنابي : تاريخ الشرق الأدنى القديم ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠١٣ ، ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

وكانت فلسطين بالنسبة هيرودوت جزء من سوريا وكذلك بالنسبة للأتراك اعتبر وليم الصوري وغيره من مؤرخي الحروب الصليبية جزء من سوريا أيضا. وكان اسم سيروس (سوري) بالنسبة للرومان يعني كل شخص يتكلم اللغة السريانية ، غير أن ولاية سوريا الرومانية كانت تمتد من الفرات الي مصر وكانت هذه حدود سوريا كما وصفها الجغرافيين العرب[٣].

العلاقات السورية المصرية:

يصعب تحديد تاريخ بعينة لمعرفة بدء الاتصال بين سكان وادي النيل وجيرانهم في سوريا اذ ان صحراء سيناء لم تكن تمثل عقبة او حائل يمنع الانتقال او السفر فقد كان سكان سيناء من البدو يغيرون علي البعثات التعدين ، وهناك الكثير من النقوش التي تمثل بعض ملوك الدولة القديمة وهم يؤدبون بدورهم تلك المنطقة امثال زوسر- سنفرو- خوفو- وقد وصل الينا من اثار الاسرة الاول بعض الاشارات التي تؤكد وصول المصريين الي شاطئ الارز من لبنان منذ ذلك العهد البعيد بل نحن واثقون ان الصلة كانت ابعد من ذلك ، وفى عصر الاسرة الرابعة ارسل الملك سنفرو اسطولا من اربعين سفينه لإحضار اخشاب الارز من لبنان ، ومازالت هذه الاخشاب باقية حتي الان ، ان الصلة بين مصر وبلاد الشام بكل اجزائها لم تكن صلة تجارية فقط ، فنجد مناظر اقلاع وعودة اسطول مصري الي شاطئ فينقيا الاسطول لم يذهب للحرب او التجارة

[٣] - رمضان عبده علي : تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته "منذ فجر التاريخ حتي مجيء حملة الإسكندر الأكبر" ، الجزء الثاني ، دار نهضة الشرق ،٢٠٠٢ ، ص ٦٢ .

وانما كان في رحلة ودية الي تلك البلاد وربما عاد بأميرة من الاميرات لتصبح زوجة لفرعون من الاسرة السادسة المصرية خلال عهد الملك "بيبي الاول" وتذكر لوحة القائد المصري "اوني" انه جهز جيشا من عشرة الالف شخص من ابناء النوبة لإخماد ثوره قامت في تلك البلاد فجهز جيش سار احدهما بطريق البر وذهب هو مع الجيش الاخر بطريق البحر وانه سار بعد ذلك في داخل البلاد وقمع تلك الثورة ، وتعرضت مصر في اواخر ايام الاسرة السادسة الي فترة ضعف وانحلال وكانت حدود الدلتا في تلك الفترة معرضة لغارات بعض جماعات الاسيويين الذين كانوا يأتون عن طريق الصحراء الشرقية وشبة جزيرة سيناء وفي مثل هذه الظروف لا يمكننا ان نتوقع ان يكون لمصر اي نشاط سياسي او تجاري كبير خارج حدودها.

الحوريون والميتانيون:

ظهر الحوريين في التاريخ في منتصف الألف الثالثة ق.م وقد جاءوا من المرتفعات الواقعة شمال شرقي الهلال الخصيب بين بحيرة اورمية وجبال زاجروس وأصبح لهم كيان سياسي في شمال بلا النهرين وشمال سوريا وبعض مناطق الاناضول وفي منتصف الالف الثانية ق.م وكان الأمويون يمثلون الكيان الموحد والمؤثر في تلك الهجرات كون الحواريون لأنفسهم مملكة في في سوبارتو وفي سوريا العليا وذلك اثناء غزو الهكسوس لمصر وكونوا في المناطق التي تركزوا فيها في شمال العراق دولة قوية عرفت باسم مملكة ميتاني.

وابتداء من عام ١٥٠٠ ق.م بدأ نفوذهم في التقلص من المنطقة وقد اقام الميتانيون مملكتهم الي ان كان يحدها من الغرب ممالك اخري صغيرة للحوريين وكانت هذه الممالك الصغيرة عرضه لهجمات الميتانيين احيانا وكانوا يضمونها الي مملكتهم وأحيانا اخري كانت هذه الممالك تنعم باستقلالها لفترة ما ولم يكن لهذه الممالك الصغيرة أية أهمية تذكر فيما بعد وكان كلا من الحوريين والحيثيين يمثلان القوة السائدة في غرب اسيا وقبل ظهور قوة الحيثيين وبعد زوال نفوذ الحوريين أصبحت ثوجاني (الفخارية الحالبة في شرقي تل حلف) عاصمة لمملكة ميتاني الجديدة ومن اهم مراكزها نوزي ويوزغان وارنجا جنوب كركوك الحالة وقد عرفت هذه المملكة في النصوص المصرية باسم نهارينا وفي المصادر الأشورية باسم هانيجاليا.

واعتلي عرش المملكة الحورية – الميتانية ملوك عديدون وكان من أشهرهم شوتارنا الأول وبارسا شاتار وشاوشاتار وارتاتاما الأول وشوتارنا الثاني وشوثراتا ماثيوازا واخرهم المدعو هوربا – تيلا. وبلغ من قوة هذه الدولة انها كانت تسيطر علي المساحة الممتدة من البحر المتوسط حتي مرتفعات ميديا بما في ذلك اشور التي خضعت لنفوذها نحو قرن من الزمان حتي تحررت في عهد ملكها اشور أو أبللط الأول تقابلت جيوش ميتاني مع جيوش الملك المصري تحوتمس الثالث اثناء حملاته علي اسيا ولكن مملكة ميتاني لم تكن قادرة علي الصمود أمام الهجوم المصري فأخذت تبحث عن حليف لها وسرعان ما قدم الامراء المجاورون لها

فروض الطاعة والجزية للملك المصري ومن أقدم ملوك ميتاني المعروفين الملك ارتاتاما[٤] .

مملكة يمخاد:

عثر عالم الاثار ليوناردو وولى خلال عمليات التنقيب الناجحة عن الاثار فى الطبقة السابعة من سهل تل العطشانة على عدد ضخم من الالواح الطينية نقشت بالكتابة المسمارية يقارب من الـــ ٦٠٠ لوح وتعرض هذه الالواح لأحداث سياسية هامة جرت فى القرنين الثامن والسابع عشر قبل الميلاد وظهرت في الطبقة الرابعة من هذا التل مجموعة اخرى من الالواح تحدثنا كتاباتها عن بعض أحداث القرن الخامس عشر قبل الميلاد وتقص علينا هذه النصوص أخبارا عن بعض حكام مملكة يمخاد التى كانت عاصمتها حلب ومن حكام مملكة موكيش الألاخ (تل عطشانة) وكانت مملكة موكيش التابعة لمملكة يمخاد فى حلب ومن بين حكام مملكة يمخاد الذين ورد اسمائهم فى هذه النصوص هو ابدل ونقمانا واركابتوم واميتا كوم يريمليم وحمورابى وهو غير حمورابى البابلي وهذه الاسماء كلها كنعانية وكان حمورابي هذا على علاقة جيدة بحمورابي البابلي وبالرغم من معرفتنا لأسماء هؤلاء الحكام الا اننا لا

[٤] - رمضان عبده علي : تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته " منذ فجر التاريخ حتي مجيء حملة الاسكندر الاكبر " ٢٠٠٢ دار نهضة الشر وق الجزء الثاني القاهرة ص ١٣٩-١٤٠

نستطيع وضع تنظيم دقيق لتاريخ حكمهم لهذه المملكة وكل ما نستطيع قوله أنهم كانوا معاصرين لملوك مارى وبالنسبة للأدوار الاجتماعية فى يمخاد فنرى ان العبيد يكونوا الطبقه الدنيا فى المجتمع وكان هؤلاء العبيد من المدنيين والحرفيين والفلاحين والملاك الصغار الذين عجزوا عن سداد ديونهم مع الفوائد التى ترتبت عليه.

كانت مملكة يمخاد تمثل العدو اللدود للحيثيين وتشير نصوص الحيثيين أن ملوك حلب كانت لديهم مملكة كبيره وأن خاتو سيليس بدأ مهاجمة أراضي هذه المملكة للقضاء عليها والظاهر انه فشل وغالبا ما تلقى ضربة قاتله واتم هذا العمل مور سيليس ابن خاتو سيليس ونجح فى تدمير حلب[٥].

ظهرت هذه المملكة فى شمال سوريا ومركزها فى الالاخ (تل عطشانة) قرب مدينة حلب وتعود نشأة هذه المدينة الى العصر البرونزى ويبدو من خلال الاشارات التى اكتشفت فى الالاخ تأثرها بالحضارة السومرية فضلا عن تأثرها فى مراحل لاحقة بالحضارتين الافريقية والمصرية ثم وقعت تحت النفوذ الحيثى وتأثرت بالحضارة الحيثية ثم وقعت تحت سيطرة الهكسوس والحوريين ويعد (ياريمليم) من اشهر ملوكها وكان معاصر لحمورابى ملك بابل ويبدو ان (ياريمليم) ارتبط بعلاقات مع ملك أوغاريت[٦].

---

[٥] - رمضان عبده على : تايخ الشرق الادنى القديم وحضاراته منذ فجر التاريخ حتى مجيء حملة الاسكندر الاكبر ٢٠٠٢ دار نهضة الشرق الجزء الثانى ، القاهرة ، ص ٩٧-١٠٢.

[٦] - قيس حاتم الجنابى : تاريخ الشرق الادنى القديم دار صفاء للنشر والتوزيع ، ٢٠١٣، ص ٢٥٥.

الآموريون.

هم اول شعب سامى فى إقليم سوريا ، وقد قدموا من شبه الجزيرة العربية فى هجرة واحدة مع الكنعانيين فى حوالى منتصف الالف الثالث قبل الميلاد. وليس معلوم على وجه التحديد الاسم الذى كان يتسمى به الاموريين او القبائل لتى كانوا ينتمون إليها قبل هجرتهم إلى بلاد الشام . ويذكر أن السومريين جيرانهم فى الشرق قد اطلقوا عليهم اسم مارتو MAR–Tu ، ووصفوهم بالبداوة ،لانهم لا يعرفون القمح كما اطلق الاكاديون عليهم اسم أمورو AMURRU ويعنى ذلك سكان الغرب ، واطلق عليهم البابليون اسم أمورو على كل اقليم سوريا، وسموا البحر المتوسط " بحر أمورو العظيم " وبعد ذلك عم اسم أمورو ، وصار يطلق على البدو القاطنين فى بادية الشام.

ان أقدم دليل وثائقي على كلمه مارتو "أى آمورو" موجود فى رقم مسماري ظهر فى موقع فاره بالعراق ، حيث يرتبط مع شخص سومرى اسمه (اه–سو (بو) (جو) يقبض راتبا من مزارع اسمه (انجار) ويرد ذكر الاسم مارتو اسماً لشعب فى وثائق السلالة الاكادية ،ويرقى تاريخ بعض تلك الوثائق الى عهد الملك الأكادي شار –كالى –شرى، ويرقى فى تاريخ البعض الاخر على ما نظن الى عهد الملك الى عهد سلفه الملك نارام – سين.

وربما كان الاموريين هم أقوام العصر الحجري النحاسي (الكالكوليت) مع أقوام اخرى وربما كانوا هم أصحاب حضارة العبيد(التى

سبقت الحضارة السومرية) ، وهذا ان صح ،يشير الى عراقتهم ورسوخ جذورهم فى المنطقة بعد الثورة الزراعية فى عصر النيوليت وهو(العصر الحجري الحديث و أما الاموريين (ويسمون بقليل من الدقة العموريين) هم الاقوام السامية التى بدأت بالظهور على مسرح التاريخ فى الالف الرابع قبل الميلاد ويضع المؤرخون تاريخا تقريبيا لبدء هجرتهم الاولى حوالى ٣٥٠٠ق٠م.

وبدأت هجرات الاموريين الى وادى الرافدين منذ حكم الملك "شوسين" ثالث ملوك سلاله "أور الثالثة" ونتج عنه تحطيم امبراطوريه هذه السلالة فى عهد آخر ملوكها المسمى "بن سين"٠ بيد أن هؤلاء الاقوام لم يكونوا جدد فى اتصال سكان وادى الرافدين والتعرف عليهم ،فقد ورد ذكرهم فى الاخبار والقصص منذ مطلع الالف الثالث قبل الميلاد، على أن مجئ هؤلاء الاموريين الى وادى الرافدين مابين عهدى "شار –كالى– شرى" وشو– سين لم يكن على هيئه موجات كبيره بل على هيئه تسلل من أفراد وجماعات عاشوا فى وادى الرافدين جنود مرتزقه أو عمالا أو أجراء.

ولقد اخذ الاموريين يظهرون بالتدريج فى سوريا الوسطى ولبنان وحتى فى فلسطين فى الجنوب .ويقال أن لبنان وصيدون وعسقلان آموريه فى نهايه اسمائها. ولقد كانت المنطقة التى سكنها الاموريين تشكل ممرا طبيعيا له أهميته من الناحية التاريخية ونقل التراث الحضاري وكان من الناحية الغربية يؤدى الى البحر المتوسط ومن الناحية الشرقية الى منعرج الفرات ، ولقد حاول كل من البابليين والمصريين والأشوريين

والكلدانيين والفرس والمكدونيين السيطرة على المنطقة. ومما لاشك فيه أن الاموريين اثروا على تاريخ المشرق القديم منذ أقدم العصور التاريخية لان هذه العناصر أخذت تتغلغل وتتسرب الى داخل البلاد طلبا للأرض الخصبة والمياه وطمعا بالثروات وطريقه حياه المدن الراقية ، لكنها لاقت خيبه أمل لاصطدامها بالدويلات السومرية ومن ثم بالإمبراطورية الأكادية .

مملكه مارى.

يرجع تاريخ مارى الى الالف الثالث والثانى قبل الميلاد وظهرت أهميتها بشكل خاص عندما سيطر الاموريين فى بداية حكمهم على أطراف بلاد الشام فخضعت مدينه مارى القريبة من الفرات لنفوذهم. تقع مارى المعروفة حاليا باسم (تل الحريرى) على بعد ١١كم الى الشمال الغربي من مدينه البوكمال على الضفة اليمنى لنهر الفرات ف منتصف الطريق الذى يصل بين البحر المتوسط وبلاد ما بين النهرين وهذا ما يدل دلاله أكيده على أهميه مارى الجغرافية ويفسر اسباب ازدهارها الاقتصادي وطمع الممالك المجاورة لها .١ولقد تبوات مارى اهميه استراتيجية كموقع هام على نهر الفرات فى النصف الثانى من الالف الثانى قبل الميلاد ، وبخاصه ابان النزاع بين أكاد وأبلا ،وقد تعاقبت على مارى نفس الادوار التى مرت على بلاد الرافدين ، فبعد عصر اكاد حكمها ملوك سلاله لأور الثالثة خال القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد ،ولقد دخلت فى نفوذ "شمشى أدد الاول" ملك اشور.

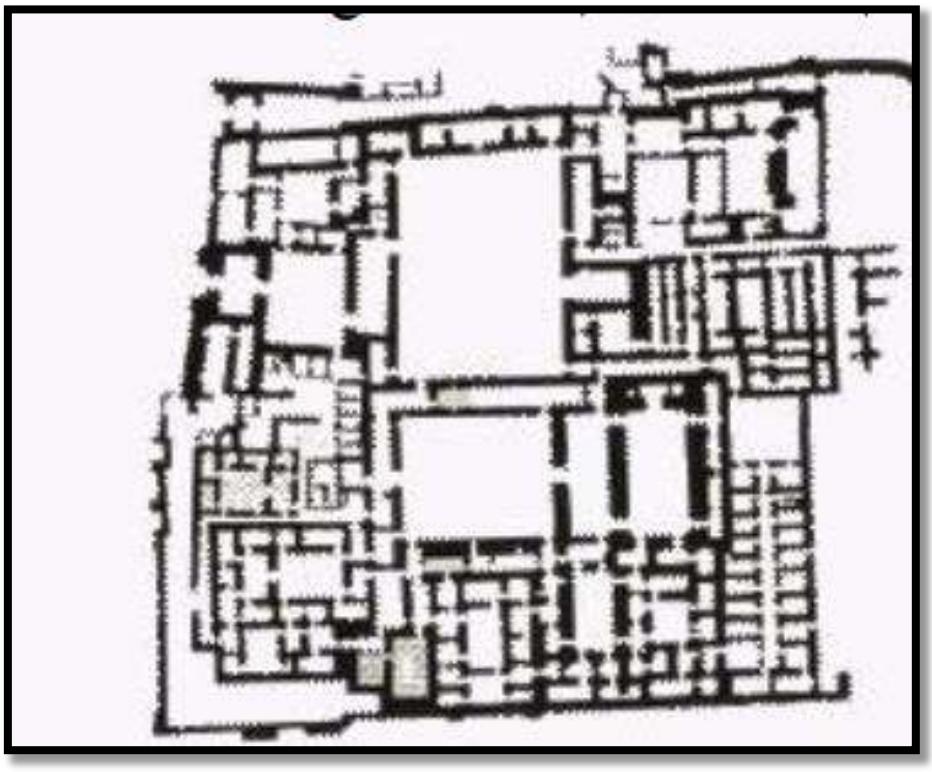

رسم تخطيطي لمملكة مارى

توالى على حكم مملكة مارى سته ملوك لمد ١٣٦عام ، كان من بينهم ياجيد –ليم ، وياخدون–ليم ، وسومويامام ، وياسماخ – أدد الأشوري ، وآخرهم زمرليم. وفى عهد زمرى ليم أتسعت مملكة ماري ، بعد أن تمكن من ضم معظم أملاك شمسى أدد – الأشوري فى جهة الغرب ، وفى عهد زمرى ليم أصبحت مارى من القوى الكبرى فى منطقه الشرق الادنى القديم، وكان يوصف بأنه رجل حرب ، كثير التنقل والحركة ، وغالبا ما كان يتواجد فى معسكر جنده خارج عاصمته مارى ، وكان يحشد فى جيوشه أعداد ضخمه من العناصر السامية العربية.

ولقد أسفرت التنقيبات الأثرية فى تل الحريري عن عدد هائل من الوثائق الكتابية التى تفصح عن المدى بالغ الشأن الذى بلغته حضارة مارى فى مجالات عديده أهمها الفكر والادب والفن واللغة ، ويعتبر أرشيف مارى الملكى من دوائر المحفوظات الهامه فى تاريخ الشرق الادنى.

يبدو أن الازدهار الذى وصلت اليه مارى مع تأسيسها وانطلاقها فى القرون الثلاثة الاولى من الالف الثالث قبل الميلاد تجلى واضحا فى القصور الفخمة والمعابد ، ومنحوتات تدل على وجود مدرسه فنيه فى مارى تعد من أقوى مدارس الفن وأكثرها أصاله فى المشرق العربي على حد قول أندريه بارو . وان تحدثنا عن عماره الالف الثالث قبل الميلاد فى ماري فلابد أن نعرج الى القصر الملكي الذى عرف بقصر زمرى ليم ، والذى تم تدشينه فى حوالى ١٨٠٠ق.م لكن تاريخ انشائه يعود الى فتره الثلث الاخير من الالف الثالث ، بحيث يبدو أن البدء فى عمرانه تم فى حوالى ٢٢٨٥ق.م واستمر لعد قرون حتى دشن فى عهد الملك زمرى ليم. ولقد برزت بوضوح أهم ملامح الوحدة الثقافية الحضارية اللغوية فى امبراطوريه مارى رغم انقسام العالم الاموري ، فعلى امتداد البلاد بين الفرات والنيل وعرضها ،كان هناك لغه مشتركه فهى الأكادية ولآموريه التى استخدمت فى مارى وبابل وآشور نينوى ويمخاض والالاخ وقطنا وفى دويلات فلسطين وبلاط الفرعون المصرى ، حيث تبدو وثائق تل العمارنة شاهدا عليها.

أما بخصوص نهاية دوله مارى فنتيجة لانتصارات التى حققها الملك حمورابى خلال السنتين الحاديه والثانية والثلاثين من حكمه ، جعلته لا يقيم وزنا لتحالفه مع ملك مارى والذى أدرك خطورة الموقف الجديد .لذلك أعلن انضمامه الى الجانب العيلامى لعله يستطيع أن يغير مجرى الاحداث ويقلب هزيمه ريم – سين الى نصر ،يحد به من تعاظم سلطه بابل ، واشتداد خطرها عليه ، ولذلك و بعد نجاح حمورابى فى التخلص من ريم– سين ، أتجه لتصفيه الحساب مع صديق الامس وعدو اليوم. كما أن موقع مدينة مارى الاستراتيجي على اواسط نهر الفرات العام من الناحية العسكرية والتجارية جعلت ملك بابل يتطلع الى مارى كهدف عسكري لاحق ،وفى سبيل ذلك ضرب حمورابى بكل تحالفات الامس مع مارى عرض الحائط. والدليل على ذلك انه فى العام الثانى والثلاثين من حكم حمورابي كان يوجد جنود بابليون كما وضحت اللوحات التى عثر عليها فى مارى ويبدو انه فى هذه السنه قد احتلت مارى من قبل بابل ،وبعد سنتين سوف تنتفض مارى ،وهنا سوف يلجأ حمورابى الى تدمير أسوارها وحرقها بالكامل ذك فى العام الخامس والثلاثين من حكمه حيث تشير الوثائق الى "بأمر آنو وانليل دمر حمورابى سور مارى وكان ذلك فى حوالى١٧٦٠ق.م ، وإبان سقوط مارى وتدميرها فى حوالى ١٧٦٠ق.م ، انتقلت الفاعلية الحضارية الى ترقا ، التى أصبحت عاصمه حوض الفرات الاوسط وحوض الخابور الادنى حوالى ١٧٦٠–١٦٠٠٠ق.م.

بعض المظاهر الحضارية عند الاموريين

لقد أمدتنا بعض النصوص التى يرجع تاريخها الى عصر أسره أور الثالثة والسنوات التى أعقبتها مباشره بصوره واضحه عن صفات الاموريين بالرغم من أنها صفات نمطيه بسيطة التركيب ، ولعل الوصف الذى تقدمه لنا أسطورة "مارتو" عن الاله مارتو يعكس بوضوح الخصائص الحضارية لهذا الشعب الذى يحمل نفس الاسم فتصف هذه الأسطورة هذا الاله بأنه: هو الذى يعيش فى خيمه معرضا للرياح والمطر والذى يحفر الارض بحثا عن الكماه من سفح الجبل والذى لايثنى ركبتيه (ليزرع الارض) والذى يأكل طعامه نيئا والذى لا يملك بيتا طوال حياته ولا قبر عند وفاته. انتقل الاموريين من حياه الرعى الى حياه الاستقرار.

فى قصيده لشاعر سومرى عاش قبل عام ٢٠٠٠ق٠م وقت احتلال الاموريين لمدينه بابل، تعبير محسوس عن انتقال الاموريين من حياه الرعى الى حياه الاستقرار مع المقارنة بأحوالهم فى المرحلتين :-

وجاء ضمن هذه القصيدة قول الشاعر :

"بالنسبة للاموري السلاح هو رفيقه

٠٠٠٠٠فلا يعرف الخضوع

وهو يأكل لحما غير مطبوخ

وفى حياته كلها لا يملك بيتا

وهو لا يدفن صديقه أو رفيقه اذا مات

والأن مارتو يملك بيتا٠٠٠٠٠٠٠

٠٠٠٠٠٠٠حبوبا٠٠٠٠

من خلال تلك القصيدة يتضح أن أهم معالم التغير فى حياه الامورى ، بعد انتقاله الى حياه الاستقرار ، أنه أصبح يملك بيتا يسكنه ،وأن لديه الحبوب اللازمة لطعامه ،بعد أن مارس أعمال الزراعة.

كما تصور لنا نصوص مارى بصوره واضحه أن حياه هذه القبائل الامورية كانت تعتمد أساسا على تربيه الاغنام والماعز بينما لم يكن الجمل معروفا لديهم وربما عرف على نطاق ضيق ، كما استخدموا الحمار كدابه حمل ، وكان جل اعتماده حياه الترحال على الاماكن التى يتوفر فيها المرعى والماء القريبة والأراضي الزراعية ونعرف أيضا أن هؤلاء الرحل كان لديهم خره محدودة بالزراعة فتراهم يبذرون الحبوب ويحصدون محاصيلهم لفتره من الوقت فى مكان معين وأحيانا أخرى يتركون من يعمل وراءهم.

ولقد توصلت الدراسات الحديثة الى نتائج قيمه ، بدلت النظرة الخاطئة التى ارتبطت بهم عن كونهم عمالا أو مرتزقه مارسوا الاعمال المتدنية التى يأنف ان يقوم بها سكان مدن الرافدين .فقد أشار م.ليفرانى الى أن الامورى تعايش مع الظروف التى حتمتها عليه طبيعة المناطق التى نشأ بها فكان راعيا للماشية ويدويا فى لمناطق التى توفر أدنى مستوي لرعى المعيشة والحيوانات المستأنسة ، ومدنيا وفلاحا حيث أمكن قيام الزراعة. وبعد أن بين "أ.هالدار" فى كتابه بعدم اقتناعه بفرضيه البداوة الى ارتبطت بالآمورين ، يعود ليوضح منزلتهم الاجتماعية وخاصه بالنسبة للمجتمع الرافدى ، فأشار الى أنه منذ ظهورهم بالشكل الواضح والصريح فى منتصف الالف الثالث قبل الميلاد فى سومر ومع

ازدياد أعدادهم استمرار فان النصوص ذكرت انهم مرسوا مختلف الاعمال. وعرفوا ايضا كتجار يجلبون البضائع والسلع الى المدن السومرية ويعودون ببضائع أخرى الى مدنهم. و فى مجال التعدين وصناعه المعادن فإنهم برعوا فى صياغه المعادن الثمينة كالذهب والفضة ، وقد أشارت نصوص كتابيه من مواقع مختلفة الى الفضة الامورية ، وهناك نص من كبادوكيا Cappadocia يشير الى اثنين من الاموريين من نهارينا أو تجار من أبلا يدفعون بالفضة الامورية .

أما من ناحيه العمارة فقد بلغت درجه عالية من التقدم لدى الاموريين ، ويتمثل ذلك فى قصر الملك زمرى ليم فى مدينه مارى الذى كان يضم أكثر من ٣٠٠غرفه ،وفى وسطها غرفه العرش ،زينت جدرانها بلوحات ذات إطارات زاهيه ، كما يمثل الملك وهو يتسلم شعار السلطة من الاله عشتار ،وكانت مساحه القصر تبلغ حوالى ٤٥٠٠ قدم مربع وتغمرها أشعه الشمس ، ومرصوفه ببلاطات من الجبس. أما عن الديانة الامورية فقد تأثر الاموريين الذين اسسوا سلاله بابل الاولى ، وكذلك الاموريون فى مارى بالديانة السومرية ، كما تأثر قبلهم الفاتحون الساميون الذين أسسوا سلاله أكاد ، على ان بين أسماء الاله نجد بعض الاسماء التى احتفظت بها الديانة الشعبية أو تلك التى كانت لها مكانه فى الماضي قبل الاحتكاك بديانة جنوب الرافدين.

إضافة الى أن الديانة الامورية فى شكلها البدائي لم تختلف غالبا عن عباده قوى الطبيعة عند الساميين التى كانت شائعه بين الرحل فى باديه الشام وباديه العرب. وكان يوجد بجانب اله القبيلة أمورو وهو اله

الحرب عدد من الاله التى لا تعرف صفاتها بالضبط ويظهر كثير منها فى عداد الإلهه الكنعانية فيما بعد. وكان أهمها حدد (بالأكادية آدد أوآدو) وهو اله مطر وعواصف ويمثل نوعا شائعا فى غربى آسيا ويظهر عاده مع النور والصاعقة ، وبصفته اله رئيسي فى الغرب عرف باسم مارتو.

وعبد أيضا فى المجمع المقدس الأمورى رب آخر اسمه راشاف ، وسماه الكنعانيون ريشوف وهو آله الحرب وله صله بالنار .وعبد الاموريين معبود آخر اسمه داجان أو داجون وقدس هذا الرب الاموريون الذين فتحوا بابل ،وشيد له المؤمنون به معمدا فى أوغاريت (رأس الشمر) كشفت عنه مؤخرا تنقيبات الآثاريين وكان هذا الرب آله الطعام، ومجده الفلسطينيون ، وكان له مقام محمود فى غزه ،وعبد الاموريون أيضا الشجر والافعى والعجل. ولعل أغرب ما فى الشعائر الدينية عند الأموريين التضحية بالبشر ودفن جثثهم بعد الذبح فى اسس المعابد التى يشيدونها.

أما عن اللغة الامورية فهناك ظاهره غريبه فى أمر هؤلاء الاموريين انه على الرغم من كثره قبائلهم التى استوطنت وادى الرافدين وقيام سلالات حاكمه منهم ، لم تحل لغتهم السامية الغربية محل اللغة الأكادية (السامية الشرقية فى العراق) التى رأيناها تعم وادى الرافدين منذ عهد الاكدى وتزيح بالتدريج اللغة السومرية بصفتها لغة التدوين وبدلا من أن يدون هؤلاء الاموريين بلغتهم اتخذوا اللغة الأكادية التى يطلق عليها البابلية القديمة فى هذا العهد "العهد البابلي القديم".

العلاقات المصرية السورية خلال الدولة الحديثة :

عندما تسلم تحوتمس الثالث (١٤٦٨-١٤٣٦ ق٠م) مقاليد الامور فى مصر كان مشاركا فى الحكم مع حتشبسوت فى السنوات التسع الأخيرة من حكمها ، وكان أول ما أهتم به هو أستعاده النفوذ المصرى فى النصف الشمالى من سوريا ،والقضاء على نفوذ مملكة ميتانى فتزعمت الأخيرة حلفا قويا ضده. وعندما أعتلى العرش منفردا واجه مشكله هددت زعامة مصر وسمعتها الدولية فى الشرق الادنى ، وكان عليه ن يتحداها ويثبت كفاءته لحلها ، وتفرقت مواطن هذه المشكلة فى نواح من بلاد الشام وأطراف بلاد النهرين ،وكانت عواملها ثلاثة وهى:-

١-اهتمام حتشبسوت بسياستها الأفريقية أكثر من اهتمامها بسياستها الأسيوية ، مما باعد بعض الشئ بين مصر بين جيرانها أهل الشام .

٢-أمل دولة الميتانيين التى بدأت تلملم شملها ، وتعترف بملك واحد فى ان يصبح لها ضلع فى توجيه أحوال الشرق الادنى وتجارته ،لا سيما أن موقعها على الفرات ، وامتدادها الى شرقها نحو دجله ،سمح لها بمركز تجارى متوسط يمكن أن تتحكم به فى مداخل التجارة السورية العراقية ويمكن أن تنافس به مصر .

٣-اتجاه حكام ميتانى أي شغل مصر عنها بأثاره الفتن والاضطرابات ضدها، وقد استجاب بالفعل لتحريضاتهم بعض حكام الشام وشيوخ بدوها، لاسيما انه كانت تعيش بينهم بقيه من ذرارى الهكسوس الذين طردهم المصريون من البلاد شر طرده.

لقد استغل أمير قادش تحول الاهتمام المصرى جنوبا فى عهد كل من الملكين تحوتمس الثانى وحتشبسوت ، والهدوء النسبي بالشام ، وقام بقياده

تحالف ضد الوجود المصرى مع ملك ميتان وما تبقى من فلول الهكسوس وحينما نجح الملك المصرى فى الانفراد بالحكم حوالى عام ١٤٦٨ ق٠م حتى قام بتجميع الجيش فى مدينه منف ،وتحرك بجيشه الى سيناء لاجتياز طريق حورس الحربى، وواصل تقدمه حتى مدينه "مجدو" تلك المدينة التى جعلها المتحالفون مركزا لهم ، وهى مدينه "تل المسلم" حاليا ، وربما يعنى اسمها "الحصن" حيث كانت تعترض بموقعها الاستراتيجي فى الممرات الجبلية طريق التجارة.

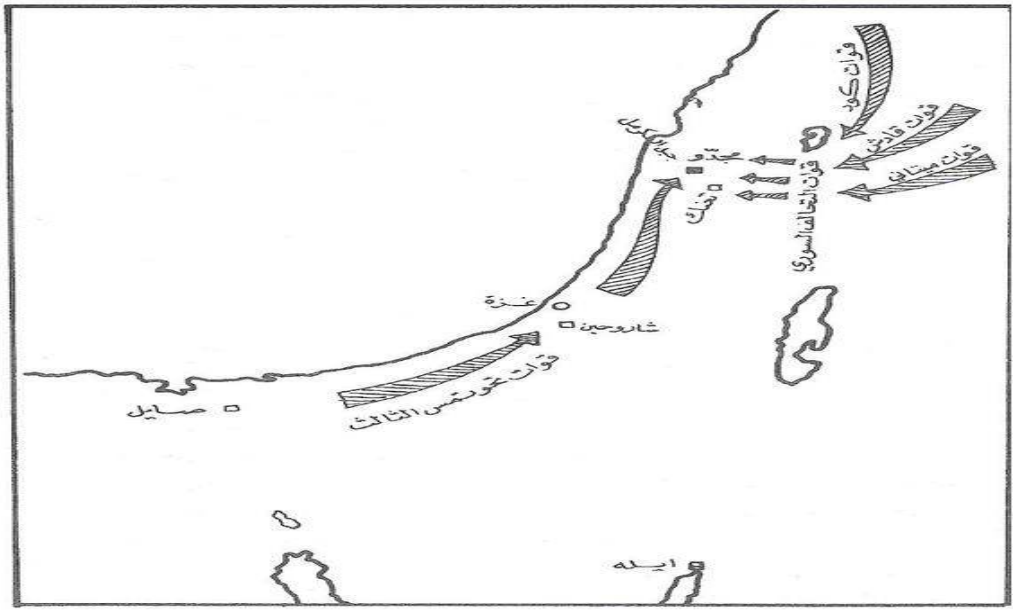

معركة مجدو .راجع: أحمد محمود الخليل : تاريخ مملكة ميتانى الحورية " العلاقات الميتانية – المصرية"، ج٣ ، مجلة سردم العربى ، عدد ٣٧، ٢٠١٣، ص ٣٤.

بين بلاد النهرين وسوريا من ناحيه ، وبين فلسطين ومصر من ناحيه أخرى، وهى مدينه كنعانيه على السفح الشمالي من جبل الكرمل بجانب سهل "اسدراليون". لقد كانت رحلات تحوتمس الثالث الى بلاد سوريا غير مطبوعة بالطابع الحربى فقط بل أن تحوتمس أصدر امره الى رجاله بأن

يدخلوا الى مصر كلما يجدنه صالحا من حيوان أو فواكه أو زراعات ،ولذا فإن بعض مظاهر الفن والحضارة السورية والعراقية بدأت تظهر فى البلاد ،فكن خيرات العالم القديم تتدفق على خزائن فرعون ،وأخذ شأن طيبه يزداد يوما الى يوم ولم يدخر تحوتمس جهدا فى تزيينها لتصبح جديرة بأن تكون عاصمه العالم المعروف فبنى فيها المعابد والهياكل وأقام فيها المسلات.

وعندما خرج تحوتمس الثالث بجيشه الى سوريا فى مرته الثامنة فى العام (٣٣) من حكمه كان قد اعتزم أن يهاجم دوله الميتان فى عقر دارها ليأمن دسائسها وليستقر الامن بعددها على حدو دولته ، وعمل فى سبيل خطته على تنظيم الموانئ الشامية وتزويدها بكل ما يعوزها من المحاصيل الغذائية ثم طلب الى رجاله أن يجهزوا اسطولا كبيرا من أخشاب لبنان وأن ينقلوا سفنه وناقلاته مفككه عن طريق البحر على عربات تجهزها الثيران على قرب نهر الفرات ،والتقى تحوتمس وجيوشه بالميتانيين فى قرقميش وانتصر برجاله عليهم ،ففر ملكهم الى أحد أقاليم دولته القصية ،وهنا قال تحوتمس فى حولياته "قسمت جيشى بعد المعركة قسمين ،عبر أحدهما الفرات وتتبع الاعداء ،ولاحق الاخر العدو الخاسئ (ملك الميتان) فى جبل ميتانى ولكنه فر بعيد. وهذا يعنى أنه لم يقضى على دوله الميتان تماما وانما ينبغي أن تحدث معها جولات تاليه.

لقد كانت آخر حملات تحوتمس الثالث تلك التى قام بها فى السنه الثانية والاربعين من حكمه لان مدينه قادش أعلنت العصيان من جديد ،وقد عاونها فى ذلك ملك ميتانى وأمير تونيب ،ولكن تحوتمس أستطاع

أن يحطمها للمرة الثانية ، وبذلك قضى على كل معارضه فى النفوذ المصرى فى هذه الجهات لأننا نعلم أن تحوتمس الثالث عاش بعد هذا نحو أثنى عشر عاما لم يحث خلالها أن أضطر الى الذهاب الى هناك.

ولقد اتبع تحوتمس الثالث من الوسائل السياسية ما يمكن اعتباره آخر صيحه فى الدبلوماسية الحديثة ،اذ كان يحضر أبناء أمراء البلاد التى أخضعها لتنشأتهم فى مصر ،حتى يشبوا على حبها ،وصداقتها ،فاذا ما قدر لهم أن يخلفوا آبائهم فى ولاية حكم تلك البلاد ،لم يبدوا مقاومه أو معارضه للنفوذ المصرى.

ونتيجة لتلك الجهود التى بذلها تحوتمس ازدادت صلات الود والحضارة بين مصر وبلاد الشام ، وزادت أعداد المصريين فيها من إداريين وعسكريين وتجار ،كما ازدادت اعداد مواطنيها فى مصر زوارا أو تجارا وعاملين ، ولم يجد كبار الموظفين بأسا من أن يوقروا بعض أرباب الشام الى جانب توقيرهم لمعبوداتهم .وكان من ذلك على سبيل المثال ،ذكر أحد رؤساء الخزانة فىى عهد تحوتمس الثالث انه حرص على أن يقدم قرابينه الى "ربه جبيل المسماة بعله قبل أن يصعد جبل لبنان لانتقاء أشجار الارز اللازمة لمهمته.

وعندما تولى أمنحتب الثانى (١٤٣٦-١٤١٣ ق٠م) بعد تحوتمس الثالث الذى نشأ فى عهد كانت فيه مصر فى غايه مجدها العسكري وقد عنى والده بتربيته تربيه عسكريه خالصه ولذا نجد أنه لم يكن يسمع برغبه بعض الولايات السورية الشمالية فى الانفصال عن مصر حتى تقدم نحوها على رأس جيشه وهزم الثائرين ، وأحضر سبعه أمراء من

المدن السورية الى طيبه حيث قتل سته منهم هناك أما السابع فقد أرسله ليشنق فى نباتا مقر الاله آمون فى النوبة ،حتى يكون عظه لأهلها ،وبذلك أحتفظ بهيبه مصر وأخذت الدول الأجنبية ترسل له الهدايا. وبذلك كان أول ملك مصري يستخدم هذا الاسلوب الوحشى فى التعامل مع أسراه.

ولقد كانت هذه الحملة هى أولى حملاته على آسيا والتى يرجح أنها كانت فى العام الثانى من حكمه. وتوجه أيضا فى العام السابع من حكمه على رأس جيشه الى آسيا ،وكانت حمله عسكريه كبيره هدف منها إلى توسع حدود دولته.

وبلغت جيوشه اوجاريت (رأس الشمر)١١كم شمالى اللاذقية ، ودامت فصولها زهاء شهرين كاملين ،ولعل سبب تجريد هذه الحملة كان وضع حد للاضطرابات والقلاقل التى تثيرها دوله ميتانى (نهارينا) بدفعها لأسباب الاضطراب داخل الامارات السورية ،فضلا عن الرغبة المصرية فى بسط الهيمنة ، وفرض النفوذ عى كل منطقه انحناءه نهر الفرات لتوسيع رقعه الإمبراطورية المصرية. كما توجه الملك فى العام التاسع من حكمه على رأس جيشه الى رتنو(سوريا) فى تاريخ يوافق نوفمبر او ديسمبر وهو توقيت غير معتاد لخروج الحملات المصرية على آسيا، إذ من المعتد أن تخرج دائما ففى مسم الربيع ، ومن ثم يتجه الرأي الى أن خروجه كان لدرء تمرد خطير يهدد السيادة المصرية على سوريا مما دفع الملك الى الخروج على وجه السرعة لقمع التمرد تأكيدا للسيادة المصرية ، ولعله كان من اثر تحر يض ميتان لدويلات المنطقة ،أو كان لتحركات

جماعات البدو شبه الرحل من منطقه ما وراء الاردن ،او كان للسببين مجتمعين معا، بمعنى تحريض ميتانى للسكان على التمرد فى الوقت التى توافق على تسلسل جديد لجماعات من الرحل مما دفع الى عدم الاستقرار بين السكان المحلين وإثاره الاضطرابات للإدارة المصرية.

لم يكن تحوتمس الرابع (١٤١٣-١٤٠٥ ق.م) الوريث الشرعي للعرش ومع ذلك أثبت انه كان جديرا بالحكم ، وبعد أن ثبت الملك اركان حكمه واستقرار السلام فى دولته ،اتجه الى تحقيق الشق الثانى من سياسته الخارجية وذلك لضمان السلم فى الشرق القريب وذلك بسبب ادراك كل من مصر وميتانى بأهمية استقرار الاحوال السياسية بينهما وأثره على تجارتهم البريه فى اسواق الشرق الأدنى ، علاوة على شعور الدولتين ببوادر الخطر من دوله خاتى فى آسيا الصغرى وخصوصا الميتانيين ، ولذلك رأت كل من مصر وميتانى أن توثيق روابط الصداقة والربط بينهما يمكن أن يحد من أطماع تلك الثالثة ، وان أفضل تدعيم لتلك الصداقة هو رباط المصاهرة .

ونتيجة لذلك تزوج "تحوتمس الرابع" من الأميرة الميتانية ابنه "ارتاتاما" كما يلاحظ انتهاء الحملات العسكرية لتحوتمس الرابع ضد ميتانى فى آسيا الصغرى نتيجة مباشره لهذا النوع من الزواج السياسي. وعن حملاته الحربية فقد وقعت فى السنه السابعة من حكمه ثوره فى النوبة السفلى ، واضطر الملك الى قياده جيشه الى الجنوب ،ويبدو أن هذه الحملة وحملته الاخرى على آسيا كانا من الاعمال الحربية الوحيدة التى قام بها تحوتمس الرابع ٤.لم يحكم تحوتمس الرابع سوى تسعه أعوام

،وتوفى فجأة عام ١٤٠٦ق٠م وكان يبلغ من العمر حوالى ٢٨عام ،وقبل وفاته أحاط كل المعابد برعاية وعنايه خاصه. لا سيما التى تخص الملوك القدماء مثل سنوسرت الثالث وأحمس ، ولقد كانت رغبته الكبرى فى ان يصبح فاتحا كبيرا ولكن الظروف الدولية بدأت تتغير.

وبعد تتابع حملات ملوك الدولة الحديثة على سوريا منذ عهد أحمس حتى تحوتمس الرابع حيث بلغت الإمبراطورية المصرية حينها أقصى اتساع لها ،ومثل نهر الفرات الحد الفاصل للإمبراطورية المصرية ورغم الحملات العسكرية العديدة على سوريا – والتي سبق الإشارة التى بعض منها الا أنه لم تتحول الى إقليم خاضع للحكم العسكري المصرى المباشر، وربما لم تحاول مصر من جانبها هذا الامر إدراكاً من قادتها لطبيعة البلاد واستحاله جعلها وحده سياسيه واحده ،ولهذا تطلبت إدارة سوريا نظاما خاصا .

الآموريين بين القوتين المصريين والحيثية

مر التنافس الحيثي المصري على بلاد الشام بمرحلتين رئيسيتين اتسمت كل منهما بجملة من الأحداث والتطورات التي تميزها عن الأخرى ، وهما مرحلة التنافس السياسي ومرحلة الصراع العسكري ، وقد استمرت الأولى منهما مدة تزيد على القرن من الزمن ، أما الثانية فقد استغرقت مدة زمنية اقل بقليل من سابقتها ، وبطبيعة الحال فإن حدة التنافس في كلتا المرحلتين لم تكن على وتيرة واحدة ، بل كانت تتأجج أحيانا وتخفت ومن ثم تزول في أحيان أخرى تبعا لظروف المواجهة وظروف كلا الطرفين المتنافسين الداخلية منها والخارجية أيضا.

فى عهد الدولة المصرية الحديثة وتأسيس الإمبراطورية التى شملت أجزاء واسعه من سوريا وفلسطين ، انحصرت بقيه الامارات الامورية فى سوريا الوسطى ، وخاصه فى الجزء الشمالى من لبنان ، وفى الاقليم الداخلي حول دمشق. وفى ذلك الوقت ظهرت قوه الحيثيين الفتيه ، وتمكنوا من اخضاع الجزء الشمالي من سوريا ، وسيطروا على مملكة يامخاد الامورية. وبين القوتين المصرية والحيثية انحصرت الدولة الامورية فى سوريا الوسطى، وأخذ الاموريون يتأرجحون فى بعض الولايات الامورية ، بين الولاء لمصر، والولاء للحيثيين.

لقد أدرك الملك شوبيلوليوما ملك الحيثيين انه لن يستطيع تحقيق اغراضه فى غرب آسيا (فلسطين–سوريا –فينيقيا) مادام النفوذ المصرى قوى ، ومادام امراء تلك المناطق على ولائهم لفرعون ، ومن ثم فقد اخذ يؤلب هؤلاء الامراء ليشقوا عصا الطاعة على فرعون ،وقد استجاب لدعوه الملك الحيثي "ايتوجاما" امير قادش ،الذى بسط نفوذه على سهل سوريا الشمالي وهزم الامراء الموالين لمصر، ثم "عبدى عشتار" أمير الاموريين، الذى تمكن من بسطنفذه على حساب جيرانه ، فأحتل عرقه وقطنه وحماه ونى فى الداخل ،ثم احتل ارواد ، وهاجم سيميريا على الساحل.

ومن جانبه ادرك عبدى عشتار خطورة القوه الحيثية المتعاظمة فى اقصى بلاد الشام ، والتي اصبحت تهدد وجود مملكته بالزوال ، وكان ايضا على دراية جيدة بأوضاع مصر الداخلية فى عهد "امنحتب الثالث "

وخليفته "امنحتب الربع" ويظهر ان عبدى عشتار قد بلغ سن الشيخوخة ولذلك سير إبنه "عزيرو" شئون الملكة ووجه سياستها الخارجية ، تحت اشرافه العام. وتدل رسائل "تل العمارنة" أن عزيروا كان ايضا هو القائد لجيش "مملكة عمورو" لقد كان عزيرو ديناميكيا فى أجراءته العسكرية وتصرفاته الدبلوماسية ، ولذلك عرف كيف يرضى الطرفين الحيثى والفرعونى ، ويبدوا ان عزيرو قد وضع نصب عينيه هدف توحيد ممالك وادارات بلاد الشام فى مملكة واحده قادره على ان تقف فى قدم المساواة مع المملكتين القويتين المتصارعتين الفرعونية فى الجنوب والحيثية فى الشمال ولذلك خطط بذكاء لانتزاع مدن بلاد الشام الموالية لفرعون الواحدة بعد الاخرى وضمها لمملكته. ورأى أن هذا الامر صعب الا بالتقرب من الحيثيين والتعاون ثم التحالف معهم ثم وجد له حليفا آخر هو ملك "مملكة قادش" الكنعانى المدعو "اتاكاما".

حاول الملك الحيثى شوبيلوليوما ان يعقد معاهدات وديه مع أخناتون ، غير ان العلاقات بينهما سرعان ما توقفت ، ربما لان ملك خاتى رأى ان النفع قليل من وراء هذا الفرعون الجديد ، وربما بسبب تحريض خاتى لأمراء وسط سوريا وشمالها بغرض زعزعه النفوذ المصرى ، وتحقيقا اغراضها فى غرب آسيا .ونجح الملك الحيثى فى تقويض دعائم الحكم المصرى فى سوريا ، والتحالف مع بعض الحكام مثل "أمير قادش"، وعبدى عشتار ملك أمورو، وابنه عزيرو وساعد ذلك على انهيار الإمبراطورية المصرية ،وضياع الجزء الاكبر من ممتلكاتها فى كل من سوريا وفلسطين وفينيقيا.

عقد الملك الحيثى "شوبيلوليوما " الاول معاهده مع تابعه ملك بلاد عمورو عزيرا ونصت المعاهدة على مايلى: ''**يجب أن تحمى الملك وارضه ، بنفس الطريقه التى تحمى بها نفسك**،، هاجم عزيروا بالاتفاق مع الحيثيين مدن ساحل بلاد الشام الواحدة تلو الاخرى مبتدئا فى الشمال بمدينه "نى" فأحتلها وقتل ملكها. وهنا خاف سكان مدينه "تونيب "الموالين للفرعون من هذا الانتصار للملك الطموح. فسارع مجلس شيوخها للانعقاد ، واتخذ قراره بطلب المساعد من فرون مصر ضد عبدى عشتار اثبتت الاحداث فيما بعد ان "عزيرو" من تابعى "شوبيلوليوما" المخلصين ،وانه استبدل النفوذ المصرى بالقوة الحيثية التى لم تكن تعرف رحمه ولا هواده تجاه الموالين لها.

استخدم عزيرو كل دهاؤه وذكاؤه تارة والقوه والتهديد تارة اخرى لكى يستولى على الشاطئ بين صيدا واوجاريت ، وفى اقصى الجنوب عمل مبعوث الحيثيين على إقصاء الموالين الاوفياء لمصر .على حين كان ربعدى ملك بيبلوس يكافح ويقاوم فى اقصى الحدود وايضا مملكة تونيب وملك القدس الذين ناهضوا اعداء مصر. ولقد كتب "عبد خيبا" الذى كان يحكم فى القدس يقول : ''**لعل الملك يرعى البلاد ويرسل القوات ،لأنه اذا لم تأتى القوات هذا العام ، فإن كل اراضى الملك سيدى**،، سوف تضيع ، ويضيف فى نفس الخطاب ملحوظه موجهه الى سكرتير إخناتون قائلا : '' **اشرح هذا الى الملك بوضوح :البلاد كلها عرضه للفناء** ،، ، وعلى الرغم من كل خطابات النجدة لم يتحرك إخناتون واكتفى بإيفاد مبعوث لبحث الموقف فى فينيقيا ولكن هذا الاخير

بطريقه غريبه جداً ،ثبت ملك آمورو فى الأراضي ومناطق النفوذ التى انتزعها من مصر، تلك الأراضي التى سوف تشمل فيما بعد بيبلوس ايضا .وهذا يعنى ان الملك قد اعترف بالأمر الواقع ،واكتفى باعتبار ملك آمورو موال له ويخضع لأوامره.

ولقد كان عزيرو الطموح يتبع سياسه المراحل ، فيحتل الجزء بعد الاخر من اراضى الامارات الموالية لفرعون ولكنه مع ذلك لم يمهل توطيد علاقته مع فرعون نفسه ،لذلك سارع هو ايضا بدوره الى ارسال الكتب للملك المصرى يدعى براءته مما ينسب اليه ، وان كتب بعض امراء الشام للملك المصرى ليس إلا بدافع من الوشاية والحقد عليه ،لأنه هو وحده من بينهم المخلص لفرعون ، ولا علاقه له بكل ما يحدث فى بلاد الشام ضد سلطه وادى النيل ، ويعتذر عزيرو فى إحدى رسائله الى فرعون مصر عن عدم استطاعته استقبال المبعوث الفرعوني "خاتى" لان "عزيرو" كان أثناء وجوده فى تونيب وردا على إتهام فرعون له انه يستقبل الوفود الحيثية ويكرمها ،ويهمل بالمقابل الوفود المصرية ،فلم ينف عزيرو انه استقبل الوفود الحيثية ، بدليل عدم تعرضه فى رسالته للجواب على هذا الامر، واكتفى فقط بإظهار الاسف البالغ ،بعد استطاعته شخصيا مقابله وفد النيل ، راجيا فرعون ، أن يبعث الوفد مره ثانيه ليستقبله ويسلمه الإتاوة ، التى كانت تقدمها لها البلدان سابقا، وهذا دليل على أن عزيرو قد اخضع سائر هذه المناطق المعنية لسلطانه ، وانه انقطع لفتره طويله عن ارسال الإتاوة الى فرعون.

ولقد آدى زحف الحيثيين على بلاد الشام الى جعل الامارات الشامية تنقسم فى مواقفها السياسية الى قسمين الاول فريق ظل متمسكا بولائه لمصر حتى النهاية لاعتقادهم ان ما انتاب من مصر من ضعف امر طارئ سرعان ما سيزول اما القسم الثانى فقد اعتمد النفاق السياسي فى علاقته مع كلتا هاتين الدولتين تحسبا للطوارئ فى المستقبل كما سعى للاستفادة من هذه المستجدات لتوسيع نفوذه على حساب جيرانه ، وكان عبدى عشتار بامتياز أبرز ممثلين التيار الثانى ،فقد كان يتظاهر بالتعاون مع الحيثيين حتى إنه ساعدهم على غزو المناطق الواقعة بين انطاكيه وجبال الامانوس ، وفى الوقت ذاته لم ينقطع عن مخاطبه الفرعون بابلغ خطابات الود والخضوع وهو فى حقيقه الامر يحاول اكتساب مناطق جديده لحسابه.

عندما خفت قبضه الإدارة المصرية فى بلاد الشام أغار بعض امرائها على جيرانهم ، وهددت هجرات قائل خابيرو والعابيرو البدوية الامن وسبل التجارة ، فتوالت صرخات الاستغاثة من الامراء الموالين لامنحوتب ، وكانت اذا وجدت الاستجابة مره ،وجدت الاهمال مرات .ولم يقدر امنحوتب خطورة هذه الاحوال تقديرها الصحيح ، واستمر يظن فى نفسه السيادة ، واستمر يتلقى رسائل التكريم من أمراء بابل والميتان وبعض امراء آسيا الصغرى .وكان شر ما اعماه عن تبين حقيقه الاوضاع هوعدد من امراء كنعان ومن الخابيرو والعابيرو، مهروا فى النفاق استمروا يضلون ويضللون ولده إخناتون من بعده ، ويسرفون فى

اظهار الود والطاعة لمصر وفرعونها ،ويسرفون فى نفس الوقت فى إضمار الحقد لها.

وفى اواسط سوريا وشرقها تكشف لنا رسائل العمارنة عن نوعيه من الامراء ظلوا مواليين لمصر ، وآخرين استفادوا من الصراع بين الفريقين وظلوا يعملون لحسابهم ومن النوع الاول ربعدى أمير جبيل ، والذى يشرف على منطقه تمتد من الساحل الى الداخل حول ميناء جبيل والذى ظ يرسل توسلاته المستمرة والتي بلغ عددها حوالى سبع وستون رساله الى الفرعون "امنحتب الثالث" وابنه اخناتون يطلب العون ضد "عبدى عشتار" الذى كان حاكما على آمورو ويشرف على جزء كبير من حوض العاصي ، واتبع سياسه بسط نفوذه على حساب جيرانه ، فى نفس الوقت التى تفيض رسائل الفرعون نفاقاً وتملقا.

فنجد من رسائل "ربعدى" الى الفرعون يستنجد بها على "عزيرو" وأمثاله تلك التى لم تجد صدى لدى الفرعون ، قوله شاكيا '' **اذا كان الملك يقول دافع عن نفسك واحم مدينه الملك التى فى مسئوليتك ، باي شىء سأدافع عن نفسى وعن مدينتى ، فى الماضي كانت هناك حاميه للملك ، وكانت قواته معى ، وكان الملك يرسل الحبوب لمؤتي ، أنظر لقد هاجمني عزيرو عده مرات ، ولم يترك لى ماشيه ولا مؤنه لقد أخذها عزيرو جميعا ، فليس عندى غلال لمؤنتي وقد نزح الفلاحون الى المدينة بحثاً عن قوت لهم ، لماذا يقارن الملك بينى وبين امراء آخرين ان مدنهم لاتزال فى حوزتهم ،فى حين ان مدنى سقطت فى يد "عزيرو" وهو يحاول محالفتى ، لكن كيف اتحالف معه ! أى كلاب هم اولاد**

عبدى عشتار هؤلاء الذين الى الملك الكبير ، سيدى ، الهى ، شمسى ، يتكلم عبدك عزيرو سبع مرات فى سبع مرات استلقى على قدميك ، سيدى آلهى ، شمسى يا سيدى أنا عبدك ، وعندما سأذهب الى حضره الملك ، يا سيدى، سأنطق بجميع كلماتى أمام سيدى ، ايها السيد لا تسمع للأعداء ا ذلاهم لهم الا الوشايه بى فى حضره الملك ، انا عبدك الى الابد،،.

الموقف العراقى من التنافس المصرى الحيثى على سوريا.

عندما بدأ التنافس كانت السلطة في بلاد الرافدين مقسمة بين قوتين كبيرتين ، الدولة الكاشية التي أقامت حكمها الأجنبي في الأقسام الجنوبية والوسطى من البلاد منذ مطلع القرن السادس عشر قبل الميلاد ، والدولة الآشورية التي أسست حكمها الوطني في الأقسام الشمالية من البلاد بعد انفصالها عن سلالة بابل الأولى ، على أثر وفاة حمورابي منتصف القرن الثامن عشر قبل الميلاد.

أولاً : موقف دولة بابل الكاشية :

أقام الكاشيون حكمهم الأجنبي في بلاد بابل مدة تجاوزت اربعة قرون من الزمن (١٥٩٠-١١٦٢ ق.م) ، وبما أنهم كانوا أقلية حاكمة وغرباء عن البلاد التي احتلوها ، فإن جل ما طمعوا به الحفاظ على كيانهم السياسي ومصالحهم التجارية ، هذا إلى أن ظروف الصراع الدولي كانت تجبرهم على الانكفاء داخل حدودهم ، ولاسيما أن قوتهم العسكرية لم تكن لتقارن بالقوى المصرية والحيثية والميتانية ، أو حتى بالآشورية لاحقاً.

ولذا فقد انتهج الكاشيون سياسة خارجية تمثلت بعدم التدخل بشؤون غيرهم ، أو في الصراعات التي كانت محتدمة آنذاك بين مراكز القوى في منطقة الشرق الأدنى ، إذ أنهم آثروا الوقوف على الحياد وأقروا مبدأ التعايش السلمي سمة أساسية في العلاقات الخارجية.

وقد انسجم الموقف الكاشي إزاء التنافس مع هذه السياسة إلى حد كبير ، ولاسيما أن المنطقة المتنازع عليها (بلاد الشام) لا تبعد كثيراً عن بابل من جانب ، وتربطهم بها علاقات تجارية متينة حرصوا على دوامها من جانب آخر ، ولذا عندما سمع الكاشيون بالانتصارات العظيمة التي أحرزها الفرعون (تحتمس الثالث) ووصوله إلى ضفاف الفرات سارعوا بإرسال الهدايا له، وهذا ما انعكس بدوره إيجابياً على العلاقة بين البلدين ، التي منذئذ كانت آخذة بالتقدم والازدهار على ما يبدو حتى بلغت الذروة في عهد العمارنة ، حسبما يظهر من الرسائل المتبادلة بين أمنحوتب الثالث وأخناتون من جهة وبعض الملوك الكاشيين من جهة أخرى، فالنبرة التي طغت على روح الخطاب بين الجانبين اتسمت بالدعوة إلى المحبة والإخاء ، وجرى على أثرها تبادل أفخر الهدايا وأثمنها ، مع ملاحظة الطلب المتزايد للملوك الكاشيين على الذهب المصري ، حتى أن أحدهم (كادشمان – أنليل الأول) وضع الذهب بكفة وابنته بكفة أخرى ، ناهيك عن استمرار الصلات التجارية بين البلدين رغم الأخطار التي كانت تتعرض لها القوافل التجارية ، على أن الحدث الأبرز الذي شهدته العلاقة آنذاك تمثل بالمصاهرة السياسية بزواج

أمنحوتب الثالث من أخت الملك الكاشي (كادشمان-أنليل الأول) ومن ابنته أيضاً.

وعلى الجانب الآخر أقام الكاشيون علاقات وطيدة مع الحيثيين أيضاً ، تمخض عنها زواج العاهل الحيثي (شوبيلوليوما) من أميرة كاشيه ، هي ابنة أو أخت الملك الكاشي (بورنابورياش الثاني) ، وقد حدث هذا بعد أن ثبت شوبيلوليوما نفوذه في أجزاء واسعة من شمال بلاد الشام بما فيها حلب ، والتي هي أقرب لبابل من باقي أنحاء بلاد الشام الأخرى ، وتعد طريقا رئيسياً لمرور التجارة الكاشية إلى موانئ الساحل الفينيقي وإلى مصر أيضاً.

على أن هذه العلاقات الطيبة التي أقامتها الدولة الكاشية مع كلا البلدين المتنافسين ، لم تدفعها إلى التخلي عن الخطوط العامة لسياستها الخارجية ، فهي لم تتدخل لا من قريب ولا من بعيد بشأن الصراع القائم بينهما على بلاد الشام ، بل أكدت وقوفها على الحياد تجاهه ، فعندما أراد الملك الميتاني وحليف مصر (ماتيوازا) اللجوء إلى بابل بعد أن أزيح عن عرشه بضغط من الحيثيين رفض الملك الكاشي (بورنابورياش الثاني) التماسه هذا ، ولعل أحجام الملك الكاشي كوريكالزو الثاني (١٣٨٠-١٣٧٠ ق.م) عن تقديم المساعدة لأمراء كنعان لغزو الحدود المصرية ، ما يؤكد حياد الكاشيين أيضاً.

غير أن هنالك ما يشير إلى أن سياسة الحياد الكاشية تلك قد طرأ عليها بعض التغيير في مرحلة لاحقة من التنافس ، إذ يتضح من رسالة كتبها الملك الحيثي (خاتوشيليش الثالث) إلى نظيره الكاشي كدشمان انليل

الثاني (١٢٧٩ــ ١٢٦٥ ق.م) أن ثمة حلفاً دفاعياً كان قد نشأ بين الملك الحيثي هذا ونظيره الكاشي كدشمان توركو(١٢٩٥ــ ١٢٧٨) ، وان خاتوشيليش الثالث أخبر كدشمان توركو عن تدهور علاقته مع مصر '' لقد أصبح ملك مصر عدوي،، ، فكتب له الاخير يعبر له عن استعداده لدخول الحرب إلى جانبه إذا ما قرر غزو مصر '' إذا زحف أخي ضد مصر سأزحف معك بالفعل شخصيا مع مشاتي وعرباتي بقدر ما موجود منها،،.

والحقيقة أن التحالف الدفاعي الكاشي – الحيثي يبدو أنه أثر على موقف الكاشيين الحيادي إزاء التنافس ، كـــان له ما يبرره لو أخذنا بنظر الاعتبار العداء المزمن الـــذي كانت تكنه كلا

الدولتين المتحالفتين للدولة الآشورية ، نتيجة لرغبة الأخيرة فـــي توحيد بلاد الرافدين بضم بابل إلى نفوذها السياسي من جهة ، ولتحقيق مشاريعها التوسعية في منطقة الشرق الأدنى القديم على حساب الحيثيين من جهة أخرى .

ومع ذلك فإن هذا التحالف لم يعمر طويلاً ،فمن نص الرسالة المذكورة يتضح ان كادشمان أنليل الثاني كان قاصرا لحظة توليه العرش الكاشي ، فتولى الإدارة الفعلية لبلاد بابل نيابة عنه الوزير (أيتي –مردوخ – بلاطو) ، وقد عارض الأخير بقوة العلاقة مع الحيثيين لاعتقاده أن الملك الحيثي يحاول توريط الكاشيين في نزاعه مع بلاد آشور ، وعلى ما يظهر بأنه أقنع الملك الكاشي بوجهة نظره هذه ، فقام هذا من ناحيته بقطع مراسلاته مع الملك الحيثي (خاتوشيليش الثالث) بحجة خطورة

طرق المواصلات ، وعليه فان الملك الحيثي اتهم في رسالته الوزير الكاشي بالتآمر لأفساد العلاقة بين البلدين ، راجيا من الملك الكاشي أن لا يستمع لكلامه ، ورفض ادعاءه مقتل بعض التجار الكاشيين في المناطق التابعة للحيثيين في شمال بلاد الشام ومنها أوغاريت ((إن ما ذكرته في ذبح التجار الكيشيين في امورو وأوغاريت الواقعة تحت نفوذ الحيثيين إنما ضد عاداتنا نحن الحيثيين)).

ثانياً: موقف الدولة الآشورية :

حينما بدأ الفرعون المصري (تحتمس الثالث) حملاته المنظمة على بلاد الشام ، كانت الدولة الآشورية ما تزال تتمتع بالاستقلال الذي حصلت عليه عقب وفاة حمورابي سنة (١٧٥٠ ق.م) ، ولم تكن قد خضعت بعد للاحتلال الميتاني ، إذ أرسل أحد الملوك الآشوريين بالهدايا للفرعون لدى عودته من حملته على مجدو بفلسطين ، وكذا الحال عند رجوع الأخير من الحملة الثامنة التي أحرز فيها النصر على الميتانيين ، وذلك في اعتراف رمزي من الملك الآشوري على ما يبدو بسيادة مصر على بلاد الشام المتاخمة لحدود الدولة الآشورية ، وربما أيضا لشعوره أن الخطر الميتاني بات على الأبواب ، فأراد بهذه المبادرة الحسنة كسب صداقة المصريين بغية تعزيز موقف بلاده السياسي إزاء الميتانيين.

وأيا كان الأمر فلم يمر وقت طويل على هذا حتى انقض الملك الميتاني (ساوشتار) على بلاد أشور واحتلها ، وبسط نفوذه حتى سلسلة جبال زاكروس ومنطقة أرابخا (كركوك) ، وبذلك فقد الآشوريون دورهم في التأثير على الأحداث الخارجية ، وقد استمروا على هذا حتى بدأ الملك

الحيثي شوبيلوليوما في مسعاه لإدخال المملكة الميتانية ضمن إمبراطوريته في إطار المنافسة مع المصريين ، عندئذ سارع الملك الآشوري الشهير آشور-أوباليط (١٣٦٥ ــ ١٣٣٠ ق.م) لأقامة علاقات ودية مع الحيثيين ، وذلك في إطار جهوده الرامية للتخلص من التبعية للمملكة الميتانية ، ويبدو أن الضربات القوية التي تلقتها الأخيرة من شوبيلوليوما أربك أوضاعها السياسية وأضعفها إلى حد كبير ، مما ساعد وشجع (أشور-أباليط) على إعلان الاستقلال.

ركز آشور أوباليط جهوده بعد الاستقلال إلى مد نفوذه السياسي على بابل من جانب ، ولمواجهة التحديات والأخطار التي تشكلها الأقوام الجبلية القاطنة في المناطق الشمالية والشمالية الشرقية من جانب آخر، ولذا لم يكن بمقدوره التدخل في شؤون بلاد الشام ، ولا سيما أن القوة الآشورية لم تكن حينها لتضاهي القوتين المصرية والحيثية ، فأنتهج نهجاً دبلوماسياً في العلاقة مع مصر والدولة الحيثية لتوطيد أركان دولته الفتية ، ولتعزيز مكانتها في منطقة الشرق القديم ، حيث أرسل برسالة للفرعون (أخناتون) جاء فيها '' إلى ملك مصر ... لقد أرسلت مبعوثي إليك ليراك ويرى بلادك ، ولقد بدأت الاتصال بك اليوم حيث لم يسبق لأبائي السابقين أن اتصلوا بك ... لقد أرسلت لك عربة جميلة وزوجين من الخيول وجوهرة من اللازورد الحقيقي،،.

ويبدو أن آشور – أباليط أراد من وراء هذه الخطوة أن تكون مقدمة لعلاقات تجارية وسياسية بين البلدين ، ولعل مبتغاه هذا قد تحقق ، فمن نص الرسالة الثانية التي بعث بها إلى الفرعون يتضح أنـــه أستقبل

وفــداً مصرياً استقبالاً حسناً ، ولذا فهو يطلب من الفرعون كمية كبيرة من الذهب أكثر من التي أرسلت ، ويرسل مقابل ذلك هدايا أخرى.

على أن ذلك لم يمنع الملك الآشوري على ما يبدو من اتخاذ خطوات مهمة لوضع اللبنات الأول في المشروع الآشوري الهادف للتوسع في بلاد الشام ، ولعل تدخله في شؤون المملكة الميتانية والمساعدة بالإطاحة بحاكمها (ماتيوازا) كان خطوة مهمة في هذا الاتجاه ، لذلك نجده يخبر إخناتون بأنه أصبح في مقام ملك ميتاني ، ويدعوه إلى التعاون معه على هذا الأساس ''أنا آلأن بمقام ملك خانيكليات،،.

وأذا كان الحيثيون قد أحبطوا هذه المحاولة الآشورية في مهدها لأعادة ترتيب المعادلة السياسية في بلاد ميتاني من خلال مساعدة ماتيوازا في استرجاع عرشه والإطاحة بالحكام الميتانيين الموالين لبلاد آشور ، فأن انهماكهم في النزاع المسلح مع المصريين على بلاد الشام، لم يؤدي إلى نجاح الآشوريين بإزالة الحاجز الذي يفصلهم عن بلاد الشام (للمملكة الميتانيه) فحسب ، بل أدى أيضاً لتوجه أنظارهم صوب بلاد الشام على ما يبدو ، وهذا ما لمسه الملك الحيثي (خاتوسيلى الثالث) في الرسالة التي تلقاها من نظيره الآشوري (أدد–نراري الأول) التي تحدث فيها عن رغبته في زيارة غابات الأمانوس ، وهي الرغبة التي فسرها الملك الحيثي إشارة مبطنة لغزو هذه المنطقة الخاضعة للسيطرة الحيثية ، كما سبق وأشرنا لذلك.

أن حدث بهذه الأهمية والمدى الزمني الطويل الذي استغرقه ، كان لابد أن تكون له انعكاسات ليس على أطراف التنافس فحسب بل

وعلى غالبية بلدان الشرق الأدنى القديم ولا سيما أن المنطقة المتنازع عليها كانت مثارا للصراعات بين القوى على مر العصور القديمة ، وتشكل حلقة وصل تربط أقطار الشرق القديم بعضها بالبعض الآخر ، ولم تقتصر التأثيرات على الجوانب السياسية بل تعدتها إلى الجوانب الحضارية أيضا.

العامل الاقتصادي في التنافس على سوريا بين دول الشرق الادنى القديم.

لا شك أن سيطرة المصريين على بلد يفيض بالخيرات كبلاد الشام ، عاد عليهم بالكثير من الموارد المالية ، وبالأخص على كهنة الأله أمون الذين كان لهم النصيب الأوفر من هذه الموارد ، حيث منح الاله امون النسبه الأكبر من الاسرى والغنائم ، وذلك لأن جميع الفتوحات المصرية في عهد الإمبراطورية كانت تتم باسم آمون وإليه تعزى الانتصارات المتحققة.

وراجت حركة التجارة بين مصر وبلاد الشام رواجا لم تشهده من قبل ، فاستوردت مصر الأخشاب ، ولا سيما من جبيل ، وصدرت بالمقابل التحف الفنية والحجارة الكريمة وبعض الحلي الذهبية ، وقد حصل المصريون على الأخشاب أيضا كجزء من الجزية التي فرضوها على الأمراء التابعين في بلاد الشام واستعملوها في بناء المعابد وغيرها من الأبنية الأثرية ، وفي صناعة السفن ، وصناعة الأثاث التي أعتمدت بشكل كبير على أخشاب الأرز والصنوبر الوارده من بلاد الشام وغيرها من الصناعات الأخرى التي ازدهرت في عهد الإمبراطورية .

كما جلب المصريون الفضة بكميات كبيرة من بلاد الشام حتى أصبح هذا المعدن شائعا في مصر ويباع بأسعار زهيدة ، والحال ينطبق كذلك على الرصاص الذي كانت بلاد الشام مركزا له وشاع استعماله في مصر عهد الأسرة المصرية الثامنة عشرة ، واللأزورد الأزرق الذي لم يكن معروفا في مصر قبل هذا ، وأخذ يرد إليها بكثرة كجزء من الجزية المفروضة على بلاد الشام ، ويعتقد أن تحتمس الثالث هو أول من أدخل الزيتون إلى مصر من بلاد الشام، وعثر على فروع صغيرة منه في مقبرة الفرعون (توت –عنخ آمون).

وانتعشت أيضا المصوغات الحربية في مصر ، كصناعة الأقواس والسهام والسروج والعجلات الحربية والدروع والسفن ، مما انعكس إيجابيا على ازدياد عدد العاملين فيها وتحسن أوضاعهم المعيشية ، كما تأثرت صناعة المصنوعات المصرية بنظيرتها في بلاد الشام، وبدأ أثرها في صناعة أدوات الزينة.

وبلغت خيرات مصر وثرواتها في بداية عهد أمنحوتب الثالث مبلغاً لم تبلغه من قبل، ليس عن طريق الغنائم والجزي والإيرادات المحلية فحسب ، بل ولأن خروج المصريين من العزلة السياسية منذ أول عهد الدولة الحديثة أتاح لهم الاتصال بالأمم المجاورة ولا سيما في المجال التجاري ، وكان لما تملك مصر حيينها من ذهب ، عده الملك الميتاني (توشراتا) بمقدار تراب الأرض ، الأثر الفاعل في تنشيط التبادل التجاري بينها وبين باقي بلدان الشرق الأخرى ، إذ يتضح من رسائل العمارنة أن

ملوك تلك البلدان كانوا يطلبون الذهب ويلحون في طلبه ، ويعرضون لقاءه الأرقاء والجواري والخيول والمركبات والأحجار الكريمة.

ولكن من جانب أخر أدى دخول الحيثيين قوة منافسة للمصريين على بلاد الشام مطلع القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وما صاحبه من عزوف المصريين عن الاهتمام بشؤون المناطق المفتوحة ، إلى امتناع معظم الولايات الشامية عن دفع الجزية للفرعون ، مما أدى إلى إنقاص موارد الخزينة المصرية نقصا كبيراً ، وإلى فقدان المصريين أيضا للكثير من الأيدي العاملة المنتجة التي كان يتم الحصول عليها عن طريق السبي وتفضل على ألوان الجزية الأخرى.

ومع أن الفرعون (سيتي الأول) استعاد أجزاء مهمة وغنية من بلاد الشام ، وخصوصاً غابات الأرز اللبنانية ، فإن ما صرفه في سبيل ذلك من أموال لم يكن ليوازي على ما يبدو هذه الواردات ، وهذا ما أجبر خلفه (رعمسيس الثاني) لأن يوظف ما جلبه من أموال وغنائم جراء حملته على بلاد النوبة في الأنفاق على مشروعه الهادف لاستعادة الأراضي التي فقدها أسلافه في بلاد الشام.

ومما زاد من صعوبة الموقف أن لجوء هذين الفرعونين إلى إشراك عدد كبير من المرتزقة ، حمل الميزانية المصرية عبئاً مضافاً في الوقت التي كانت فيه هذه الميزانية تعاني من ضائقة اقتصادية كبيرة ظهرت أثارها في عهد الفرعون (رعمسيس الثالث) أي بعد عقود زمنية قليلة من توقف هذا التنافس ، ناهيك عن أن هؤلاء الاجانب أصبح بعضهم موظفين في البلاط وتجاراً ولم يكن يهمهم سوى جمع الثروة ، مما فاقم من

الأوضاع الصعبة التي كانت تعاني منها البلاد آنذاك ، ولاشك أن العاصمة الجديدة لمصر التي شيدها رعمسيس الثاني في الدلتا بالقرب من بلاد الشام لمراقبة الأوضاع فيه ، استنزفت الكثير من موارد الدولة المالية .

أما المملكة الحيثية فلا ريب أنها تحملت تكاليف مادية باهضة لا تقل جسامة عما تحملته مصر ، ولم يكن هذا فقط جراء حروبها الطويلة ضد المصريين ، أو القوى المحلية المناوئة لنفوذها في بلاد الشام ، بل وكذلك نتيجة لاضطرار الملوك الحيثيين لتجهيز الحملات العسكرية بين الآونة والأخرى لسحق الثورات التي كانت تنشب ضد السلطان الحيثي في أجزاء متفرقة من الأناضول مستغلة انشغال أولئك الملوك بتوسعة نفوذهم في بلاد الشام وتوطيد أركانه .

على أن الحيثيين حققوا كسباً مادياً على حساب مصر نتيجة التنافس ، جاء منسجما مع انتصارهم السياسي والعسكري على الأخيرة في هذا الحدث التاريخي ، وتمثل باستحصالهم الجزية من نصف الممالك الشامية ، التي كان معظمها يذهب إلى خصومهم المصريين عشية بدء التنافس ، وقد بلغت هذه الجزية ثلاثمئة شيكل من خالص الذهب على مملكة أمورو ، هذا فضلاً عن سيطرتهم على طرق التجارة الرئيسية التي تمر في شمال بلاد الشام وتربط بلدان الشرق الأدنى القديم بعضها بالبعض الآخر .

كما أصبح للتجار الحيثيين امتيازات خاصة في التعامل التجاري مع الممالك الشمالية من بلاد الشام ، إذ ورد في أحد النصوص الحيثية ما

يشبه صيغة أمر صادر عن الملك الحيثي (خاتوشيليش الثالث) إلى حاكم أوغاريت لمنح تاجر حيثي كان يزمع المجيء لأوغاريت معاملة خاصة وإعفائه من الرسوم الكمركيه ، وقد تسنى للتجار المقيمين في أوغاريت الوصول إلى ثراء كبير وشراء الأراضي في المدينة ، أو العمل مقرضين للأموال.

لقد تركت هذه الأمور مجتمعة أثراً واضحاً في دعم الاقتصاد الحيثي ومساعدته على تحمل التكاليف الباهضة للنزاع الطويل مع المصريين على بلاد الشام ، فالملك الحيثي (مووتالي) كانت خزانته عامرة حتى انه أخرج منها الكثير من الأموال لاستجلاب المرتزقة من شتى أنحاء الأناضول وجزائر البحر الأبيض المتوسط استعدادا للتصدي لجيوش الفرعون (رعمسيس الثاني) التي كانت تعد العدة لإخراج الحيثيين من بلاد الشام.

وبالنسبة إلى بلاد الشام ، فلا خلاف أنه الطرف الأكثر تضررا من شتى النواحي ، ومنها الناحية الاقتصادية ، ففضلا عن الجزية الثقيلة التي فرضها المصريون على أجزاء منه ، والحيثيون على أجزاء أخرى ، فما طال جل مدنه من أعمال نهب وتخريب من قبل الجيوش المتنافسة لأفدح ما خلفه التنافس من نتائج على الاقتصاد الشامي ، فالجيوش الحيثية لم تتورع بإنزال أقصى العقوبات بحق المدن الشامية التي حاولت التمسك بالاستقلال ، أو بالولاء للمملكة المصرية ، ومثال على ذلك ما أنزله الملك الحيثي (شوبيلوليوما) من الدمار بمدينة قطنة لرفضها الخضوع لسلطانه والتخلي عن الولاء للفرعون ، وكذلك ما حدث لمملكة جبيل ، إذ

أحرق الحيثيون الأراضي الزراعية التابعة لها لاتخاذها موقفاً مشابهاً لموقف قطنه ، ولما ثارت مملكتا نيا وأوراختي للتخلص من الهيمنة الحيثية ، فإن شوبيلوليوما نكل بالثائرين واستحوذ على ممتلكاتهم ، وبالأسلوب نفسه تعامل مرسيليس الثاني مع المدن الشامية التي أعلنت الخروج على سلطانه.

فضلاً عما اقترفه حلفاء الحيثيين في بلاد الشام – أثناء حقبة العمارنة – وبالأخص عزيرو من أعمال حرق وتخريب وحصار للدويلات الشامية التي أبت الخروج عن الطاعة المصرية، وخاصة سيميرا التي أصابها الدمار التام جراء ذلك.

ولم تكن الجيوش المصرية أقل قساوة وتعسفاً من مثيلتها الحيثية أثناء اجتياحها لبلاد الشام، أو عند معالجة الثورات التي كانت تندلع ضدها في ذلك البلد ، فالتقرير الحربي المصري حول ما أقترفته جيوش تحوتمس الثالث ضد المدن الشاميه التي رفضت الأستسلام ، يكاد أن يكون واحداً ((هدمناها وقطعنا أشجارها وخربنا زراعتها ومواسمها)) وأن مجموع ما أخذه هذا الفرعون من مدينة مجدو وحدها بلغ حداً يثير الدهشة.

وكذلك ما أستولى عليه (سيتي الأول) من كميات الغنائم الكبيرة جراء حملته الأولى على بلاد الشام ، وما أقر به رعمسيس الثاني – على جدران معبد الكرنك – من عمليات نهب طالت مدن الشام الجنوبية ، وذلك بعد القضاء على الثورات التي قامت بها الأخيرة بتحريض من الحيثيين.

هذا فضلاً عن الغرامات التي فرضها أولئك الفراعنة على المدن الشامية المغلوبة ، كتحميل (تحتمس الثالث) المدن الفينيقية أعاله الجنود المصريين ، وإجبار (سيتي الأول) أمراء لبنان على قطع أكبر كمية من أخشاب الأرز ، لتشييد الأبنية الدينية .

وسوى ما تقدم فقد كانت بلاد الشام – ماعدا أجزاءها الجنوبية – ساحة مفتوحة للحروب بين المصريين والحيثيين ، مما أنزل مزيداً من الدمار والخراب في البلاد ومصادر المعيشة لسكانه .

لقد انعكست هذه الأمور برمتها على الأوضاع الاقتصادية لسكان بلاد الشام ، فالدمار الكبير الذي خلفته الحملات المصرية المتكررة على مدنه الجنوبيه ، وفداحة الجزية والغرامات التي كان المصريون يفرضونها على السكان ، أنهكت هذه المدن وأضعفتها إلى حد كبير ، مما جعلها لقمة سائغة لقبائل شعوب البحر من جانب ، والعبرانيين من جانب أخر.

وتأثرت حركة النقل التجاري براً بين بلاد الشام وغيرها من بلدان الشرق الأدنى المحيطة بها ، ولم تعاود نشاطها الطبيعي إلا بعد أن توقف التنافس.

وكما كان للتنافس انعكاسات سلبية وإيجابية على النشاط الاقتصادي للأطراف الممثلة له ، ولد انعكاسات أيضا مماثلة على الحياة الاقتصادية لباقي ممالك الشرق الأخرى ، فالمملكة الميتانية التي تحالفت مع المصريين على أثر ظهور الحيثيين قوة رئيسية في الصراع على بلاد الشام ، ضمنت بهذا – مؤقتا– أمن التجارة البرية في أسواق الشرق

الأدنى القديم ، التي كانت كل من الدولتين المتحالفتين تمسك بناصيتها حينذاك ، بالإضافة الى بنائها لعلاقات تجارية وثيقة بالجانب المصري ، كما يستدل من الرسائل المتبادلة بين الملوك المصريين ونظرائهم الميتانيين.

لكن هذا الازدهار لم يستمر ، فالاقتصاد الميتاني أخذ يتلاشى رويدا رويدا ، منذ أن سيطر شوبيلوليوما على الممتلكات الميتانية في بلاد الشام ، وما ترتب على ذلك من ضعف المملكة الميتانية وضياع نفوذها في الخارج ، وانتهاء بالحرب الأهلية التي دمرت البلاد وأوصلتها إلى

حالة من الفاقة والعوز ، أضطرت شوبيلوليوما لأن يرسل لها كل شئ ، بما في ذلك الخيل والأغنام والأنعام ، في إطار جهوده الرامية لإعادة الحياة إليها من جديد ، لتكون درعا يقي بلاده وطأة الأخطار الآشورية ، على أن عودة ميتاني الجديدة كانت في إطار ضيق ، إذ لم تتجاوز الأراضي الكائنة بأعالي ما بين النهرين شرقي الفرات ، فأصبحت بهذا ضعيفة من الجانب السياسي والاقتصادي ، مما سهل على الآشوريين ضمها آخر المطاف .

وفيما يتعلق بالمملكة الكاشية ، فإن تفكك السلطة المصرية في بلاد الشام إبان عهد إخناتون بصورة خاصة ، والذي كان للحيثيين دور رئيسي فيه ، أدى لتضرر النشاط التجاري بين بلاد بابل من جانب ، ومصر وبلاد الشام من جانب آخر ، فقد جاء في إحدى الرسائل التي كتبها الملك الكاشي (بورنابورياش الثاني) إلى الفرعون المصري إخناتون بأن

القافلة العائدة للمبعوث الكاشي (سالمو) إلى مصر تعرضت مرتين لعمليات سلب ونهب في جنوب بلاد الشام ، وفي رسالة أخرى اشتكى الملك الكاشي إلى الفرعون تعرض عدد من تجاره إلى السلب والقتل من أحد الأمراء الكنعانيين ، أثناء مكوثهم بمهمة تجارية في إحدى المقاطعات الفلسطينية الخاضعة للسيطرة المصرية منبها إياه بأن تكرار مثل هذه الأعمال سوف لن يؤدي لقطع العلاقات التجارية بينهما فحسب ، بل والسياسية أيضا ، لأنه لن يكون بإمكانها التواصل بالرسل ، ولذا أوصاه بسد الطريق امام هذه التجاوزات والاقتصاص من القتلة.

وعلى الجانب الآخر فإن عدم قدرة الحيثيين على ما يبدو لأحكام السيطرة على المناطق الشمالية من بلاد الشام مع انهماكهم بالحروب المتواصلة ضد المصريين ، أدى لأن تقوم إحدى العصابات بقتل التجار الكاشيين ونهب قافلتهم أثناء توجههم إلى بلاد أمورو وأوغاريت لأغراض التجارة.

إلا أن ذلك لا ينفي القول بأن الكاشيين استفادوا من التسابق المحموم بين مصر والمملكة الحيثية لإقامة أوثق الصلات بممالك الشرق الأخرى – في خضم المنافسة على بلاد الشام – ليوطدوا علاقاتهم الاقتصادية بهاتين الدولتين ، بالرغم من الأخطار التي كانت تتعرض لها القوافل التجارية كما تقدم ، فقد كانت القوافل التجارية الكاشية تذهب إلى بلاد الشام ومصر ، وإلى بلاد الحيثيين فتنقل إليها ما تجود به بابل من بضائع وسلع ، ثم تعود منها وهي محملة بالبضائع ولا سيما بالذهب والفضة نظرا لما لهذين المعدنين الثمينين من أهمية قصوى في سد نفقات الدولة

الكاشية وتشييد رموز الحضارة في بلاد بابل، فقد جاء في إحدى رسائل العمارنة أن الملك الكاشي (كريناش) زوج ابنته إلى الفرعون المصري (أمنحوتب الثالث) لقاء مهر غال من الذهب خصصه لبناء معبد الآلهة (ننا) في الوركاء.

ومعظم الرسائل المتبادلة بين ملوك البلدين تشير لمطالب ملوك الكاشيين الملحة للحصول على الذهب المصري لقاء مبادلته بسلع أخرى مما يرغب بها الفراعنة ، كالأحجار الكريمة والخيل والعربات وغيرها فضلاً عن الجواري والعبيد.

وفيما يخص المملكة الآشورية ، فإن الضغط الحيثي على الميتانيين لم يؤد لنيلها الاستقلال فحسب ، بل وأدى إلى استباحة الجيوش الآشورية للعاصمة الميتانية واستعادة ما سلبه الميتانيون سابقاً من بلاد آشور من مقتنيات ماديه وأثريه، هذا فضلا عن العلاقات التجارية المميزة التي أقامها الآشوريون مع الجانب المصري ، وذلك في أطار الجهود المصريه الحثيثة لإقامة تحالفات مع القوى الخارجية المهمة للتأثير على الدولة الحيثية.

وبالإضافة الى ما تقدم فإن نجاح الآشوريين في ضم الأراضي الميتانية أتاح لهم السيطرة على الطرق التجارية المؤدية إلى بلاد الشام والأناضول والاستحواذ على أراضي زراعية غنية ، وهذا باعتقادنا أبرز ما حصلت عليه الدولة الآشورية من نفع مادي جراء التنافس .

سكان بلاد الشام القديم
الكنعانيون (الفينيقيون)

يمثل الكنعانيون الذين سماهم الأغريق فيما بعد بالفينيقيين ثاني جماعة جزرية لعبت دوراً بارزاً في تاريخ بلاد الشام بعد الآموريين وكما اسلفنا فان الكنعانيين والآموريين بنتسبون الى هجرة واحدة وقد جاء ذكرهم في العهد القديم باسم (صيدونين) نسبة الى اقدم مدنهم صيدا وقد وردت بعض الاراء التي اثارت جدلاً حول أصل هؤلاء القوم ومن بينها ان بعض المؤرخين قد ارجعوا اصل الفينيقيين الى منطقة جغرافية يكثر فيها النخيل معتمدين في ذلك على ان لفظة (phoinix) اليونانية التي اشتق اسم الفينيقيين منها تحوي من ضمن معانيها معنى النخلة ومنهم من يرى انها مشتقة من الكلمة المصرية (فنخو) أو انها تعني اللون الأرجواني ، وقد وصف لنا بعض المؤرخين الكلاسيكيين ومنهم جوستان هجرة الفينيقيين بقوله (ان الامة السوريةمكونة من الفينيقيين الذين نزحوا من بلادهم الأصلية حين افزعتهم الزلازل ونزلوا أولاً على ضفاف البحيرة الاشورية ثم على شواطيء البحر الابيض وهنا بنوا مدينة سموها صيدا بسبب وفرة الصيد من السمك، والفينيقيون يسمون السمك صيدا) . وبرغم عدم دقة هذا الخبر فانه يثير الآنتباه بخصوص تلك البحيرة الاشورية التي وردت في النص وهل ان بعض المؤرخين يعتبرون السوري والآشوري شيئاً واحداً. وهناك رأي يقول ان المقصود بتلك

البحيرة هي بحر النجف أو بحيرة انطاكيه او البحر الميت حيث انهم دخلوا مع مجرى الفرات الى سوريا من جهة الشمال، أما المؤرخون العرب فيقولون: انهم عبروا مضيق الجزيرة العربية من مصب الفرات الى وادي الاردن مستندين في ذلك على ان الجزيرة العربية هي المهد الاول للأقوام التي كانت تسمى (السامية) . ولعل بلاد اليمن تمثل نقطة البداية في تحرك تلك الأقوام. ففي اليمن كان مسقط رأس الأقوام العربية القديمة بسبب توفر كل المقومات التي تساعد على كثافة السكان واولها الزراعة وثانيهما التجارة .

ويرى هيرودوتس أن الفينيقيين قد نزلوا من خليج العقبة قادمين من منطقة البحر الأحمر ، بينما اشار بعض الباحثين الى ان هجرة هؤلاء قد جاءت من شبه الجزيرة العربية ووطئت بلاد الشام في نهاية الألف الثالث ق.م وهم ينتمون الى نفس القبيلة التي جاء منها الأموريون معتمدين في ذلك على التشابه الغوي والقومي بين الأموريين والكنعانيين.

يحدد موطن الفينيقيين على الساحل الشرقي للبحر المتوسط ويمتد ما بين الأرض المحصورة من مصب نهر العاصي شمالا ونهر بيلوس (النعمين في فلسطين حالياً) جنوبا ويحدها من جهة الشرق جبال اللاذقية وسلسلة جبال لبنان، ونظراً لضيق تلك المنطقة واقتراب الجبال من البحر ففي معظم المناطق فقد كانت الاراضي الصالحة للزراعة محدودة ولا تسد احتياجات السكان، كما ان انتشار السلاسل الجبلية جعل اتصالهم مع

الاقاليم الداخلية وفيما بينهم صعباً الى كبير ولـذلك فقـد اعتمـدو علـى التجارة في معيشتهم منذ وقت مبكر من تاريخهم وساعدهم على ذلك موقع بلادهم الستراتيجي المتحكم في طرق المواصلات التجارية سـواء التـي توصل بين مصر وبلاد الأناضول أو بين بلاد الرافدين وجزر بحر ايجة فكانوا بذلك حلقة وصل بين مناطق عديدة من مناطق العالم القديم، يضاف الى ذلك وجود اخشاب الأرز والسرو والصنوبر الصالحة لبناء السـفن، وكذلك توفر الرمل الناعم على السواحل والذي يكون صـالحا لصـناعة الزجاج، اضافة الى ذلك فانهم انتجوا الأقمشة الصوفية الملونـة بـاللون الأرجواني الأحمر الذي اشتهروا به والذي كان يستخرج مـن الحيـوان القشري البحري موريكس كذلك فانهم امتهنوا صيد السمك.

لقد مر الكنعانيون (الفينيقيون) بنفس الظـروف التـي مـر بهـا الآموريون في مجاورتهم لحضـارتين عظيمتـين (وادي النيـل ووادي الرافدين) مما عرقل تكوين دولة معظمة في بلاد الشام بالاضـافة الـى قربهم من الدولة الحثية المتعاظمة في قوتها والـى ذلـك فـان الدولـة الأشورية بدأت في تكوين قوتها السياسية لتحـل محـل الأمبراطوريـة المصرية في بلاد الشام والتي كانت تتمتع بعلاقات طيبة معها في مجـالي السياسة والتجارة وهذا ادى الى تأثير الفينيقيين الواضح بحضـارة وادي النيل.

ان هذه الظروف لم تسمح للفينيقيين من تكوين دولة كبيرة موحدة، بل كانوا منقسمين الى عدة دويلات مدن محصنة ويحكمها ملك يستقل بمدينته عن بقية المدن وكانت تلك المدن تتفاوت في قوتها ومنعتها ويأتي على راسها مدينتي صيدا وصور وقد انتشرت تلك المدن على طول الساحل من جبل كاشيوش حتى جبل الكرمل في الجنوب، غير ان تلك الجبال لم تكن توفر حماية كافية لتلك المدن مثل تلك التي توفرها جبال لبنان، ولهذا فان المدن العظيمة والتي بقيت دائمة ازدهرت فيه وهي طرابلس والبترون وجبيل وبيروت وصيدا وصور فضلاً عن مدن الشمال عرقة وسيميرا وأرواد، وفي الجنوب غزة وعسقلان في الساحل وهناك مدن اخرى في الداخل مثل جزير ومجدو واورشليم .

يعتبر الخطر الخارجي أهم العوامل التي توحد تلك المدن للوقوف بوجه الأعداء وذلك لمصالحها المشتركة حيث كانت أحد المدن تتزعم تلك الوحدة المؤقتة وقد حصلت على مثل تلك الزعامة اوغاريت في اواخر القرن السادس عشر وجبيل في القرن الرابع عشر وصيدا بعد القرنين الثاني عشر والحادي عشر وصور بعد هذا القرن وطرابلس في القرن الخامس ومن الأمثلة على نشوء مثل تلك التحالفات بين المدن ذلك الحلف الذي تزعمته قادش والذي تم سحقه من قبل الفرعون المصري طوطمس الثالث في موقعة مجدو الشهيرة عام ١٤٧٩ ق.م.

احتلت مدينة صور مركزاً مرموقاً بين المدن الفينيقية وتمتعت بقوة ونفوذ كبيرين وحكم ملوكها منطقة امتدت من جبل الكرمل في الجنوب وحتى منطقة طرابلس الحالية في الشمال وكان ملكها حيرام (٩٦٩-٩٣٦ ق.م) معاصراً للملك العبراني سليمان وتاجر معه حيث ساعده في بناء معبد الهيكل في اورشليم مقابل ما دفع الملك العبراني من ذهب وفضة وحبوب.

أما عن علاقة الفينيقيين بالاشوريين فانهم كانوا يدفعون الجزية لهم ليضمنوا امن طرقهم التجارية، ولكن شلمنصر الثالث (٨٥٨-٨٢٤ ق.م) هاجم بعض المدن الفينيقية واستولى على عدد منها ، في حين حاصر سرجون الثاني (٧٢١-٧٠٥ ق.م) مدينة صور لمدة خمس سنوات ولكنه لم يفتحها بعد ان أخضع سائر المدن الفينيقية الاخرى ، ولعل اشهر حصار قاومته صور فيما بعد هو حصارها من قبل نبوخذ نصر الثاني (٦٠٤-٥٦٢ ق.م) .

تألق الفينيقيون عبر تاريخهم بالتجارة البرية والبحرية على حد سواء فكانوا من الامم المتميزة في التاريخ والتي انشأت مستوطنات تجارية في البر والبحر وانتشرت مستوطناتهم في مختلف مدن عالم البحر المتوسط، ولكن كانت قرطاجة اكثر المستوطنات نجاحاً وان كانت احدثها عهداً اذ انها انشأت منذ القرن السادس ق.م امبراطورية ممتدة من ليبيا الى اعمدة هرقل (مضيق جبل طارق) تضم اليها مالطا وسردينيا وجملة

مستوطنات اخرى في الساحل الاسباني الفرنسي ، ويمكن القول ان قرطاجة عوضت وطنها الأم في صور وصيدا في عدم تمكنها من انشاء مملكة قوية موحدة بسبب ضغط المصريين والاشوريين ، كما لها الفضل في انها طورت حضارة جزرية خالصة ونشرتها وعمقتها الى ان لاقت نهايتها على يد الرومان عام ١٤٦ ق. م .

اشتهر الفينيقيون كذلك بالملاحة البحرية فقاموا في بداية القرن السادس ق.م بالدوران حول افريقية بتكليف من الفرعون المصري نيخو الثاني (٦١٠-٥٩٥ ق،م) وقد جاءتنا نماذج من صور السفن الفينيقية من حدود ١٤٠٠ ق.م وهي مصورة في المآثر المصرية، كما قدموا مساعدة لحلفائهم في الحملات البحرية بتجهيزهم بالسفن ومنها ما قدموه الى الملك العبراني سليمان والملك الاشوري سنحاريب في حملتة على بلاد عيلام عام ٦٩٦ ق. م .

اما اعظم انجاز حضاري قدمه الفينيقيون للبشرية فتمثل باختراعهم للأبجدية التي عرفت في اوغاريت في القرن الرابع عشر ق.م حيث اخذ الأغريق والرومان وغيرهم من الشعوب الابجدية واستخدموها في كتابة لغاتهم المختلفة.

وبخصوص الديانة الكنعانية (الفينيقية) فكان اساسها عبادة القوى الطبيعية المنتجة والخصبة وهذه ميزة من مميزات المجتمعات الزراعية، حيث كان هناك الهان مهمان في عبادة الكنعانيين بوجه خاص والجزريين

بوجه عام منشؤهما من عبادة الظواهر الطبيعية وتعرف باسماء مختلفة ولكنهما في جوهرهما: الهواء الأب والأرض الام، وكان اله الجو يعرف باسم ايل أو بعل بينما الآلهة الأم كانت تسمى عاشرة او عشترت ، وقد عرف ايل بعدة اسماء وصفات وهي دلالة على مكانته المبجلة عند الفينيقيين فسموه ايضاً باسم (بعل لبنان) و(شميم) اي سيد السموات وظهر في صور باسم (بعل حمون) و(بعل صافون) وهي التسمية التي عرف بها في المناطق التي ضمتها قرطاجة الى سيادتها البحرية.

اما عشترت فهي آلهة الحب والأخصاب والربيع واحتلت عبادتها مكانة مرموقة عند الفينيقيين وفي سواحل البحر المتوسط التي كانت تحت سيطرة قرطاجة وعرفت فيها باسم (تانيت)، ومعبد عشترت الرئيس كان في مدينة صور، وقد انتقلت عبادة هذه الالهة من الساحل السوري الى مصر. ومن الالهة الفينيقية المهمة الاخرى الاله (اشمون) وهو اله الشفاء الذي كانت له أهمية بارزة في مدينة صيدا ، وكذلك الأله رشف اله الحرب وسيد الصواعق الذي كان معبده الرئيس في جبيل وعرفت عبادته في مصر ايضاً . لقد اسفرت التحريات الآثارية الحديثة في سورية الكشف عن معابد يرجع تأريخ البعض منها الى حدود عام (١٤٠٠-١٢٠٠ ق.م) في موقع ايمار (تل مسكنة) وهي مكرسة لعبادة بعل وعشترت .

وعموماً فان الديانة الكنعانية (الفينيقية) لم تكن بالمستوى الحضاري الذي كانت عليه ديانة حضارة بلاد الرافدين ويتجلى ذلك في

قسوة بعض طقوسها واهتمامها المبالغ فيه بالعناصر الجنسية، كذلك فأن تلك الالهة ليست محددة في صفاتها ووظائفها فكثيراً ما كانت تتبادل في الصفات والوظيفة حتى ليصعب على الباحث احيانا ان يعرف طبيعة الصلات بين تلك الآلهة وهذا يرجع ربما الى انعدام الوحدة السياسية بين المدن الفينيقية من جهة، ومن جهة اخرى الى انه لم يكن ثمة طبقة منظمة من الكهنة تستطيع تنظيم الديانة كما هو الحال في ديانة بلاد الرافدين .

العبرانيون :

مثل العبرانيون الهجرة الجزرية الرابعة التي دخلت بلاد الشام وسكنت فيها بعد الأموريين والكنعانيين والآراميين اذ يتحول مسرح الأحداث الى الاقليم الجنوبي من البلاد اي فلسطين والتي يمكن تحديد حدودها بالاراضي الواقعة بين نهر الاردن والبحر المتوسط وتقع بين رأس الناقورة (سكالاتيرووروم قديماً) على الساحل وعند جبل الشيخ حتى وادي العريش (نهر مصر قديماً) حيث تقع مدينة العريش المصرية (رينوكولوزا القديمة).

ومن المرجح ان العبرانيين قد دخلوا الى هذه المنطقة على ثلاث دفعات، كانت الأولى تتزامن مع تقدم الهكسوس والحوريين الى شرق البحر المتوسط في القرن الثامن عشر ق.م، في حين تحركت الثانية مع الهجرة الآرامية في القرن الرابع عشر ق.م، أما الثالثة والأخيرة فكانت

تمثل خروجهم من مصر مع موسى ويشوع في أواخر القرن الثالث عشر ق.م.

واستناداً لتلك الازمان المحتملة لتلك الهجرات الثلاث يمكن القول ان الهجرة الأولى قد وجدت الكنعانيين يؤلفون القسم الأعظم من السكان وكان الأموريين يستوطنون الجهات المرتفعة التي كانت قليلة السكان مما سهل على المهاجرين الجدد استيطانهم، كما كانت عدة أقوام اخرى غير جزرية كالفلسطينين والحوريين والحثيين تسكن معهم فاختلط العبرانيون بهؤلاء وبالاقوام الجزرية الاخرى التي كانت في المنطقة قبلهم ونتج عن ذلك العبرانيون الذين ورثوا عن الكنعانيين ثقافتهم وتعلموا منهم مقومات الحضارة بعد ان كانوا اقواما رُحَّل ولكن بعد اختلاطهم بالسكان عرفوا الاستقرار وبناء المنازل ثم تعلموا الزراعة والقراءة والكتابة حتى انهم تركوا الهجتهم الجزرية القديمة واتخذو من اللغة الكنعانية لغة لهم.

يكتنف الغموض بداية تأريخ العبرانيين اذ نقرأ في العهد القديم ان ابراهيم جدهم الأكبر اتي من مدينة اور العراقية عن طريق حران واقام مؤقتاً قرب حبرون (الخليل) وان ابنه اسحق انجب ولداً سماه يعقوب الذي فُضِل من بعد اقامته عدة سنين في (فدان آرام) على أخيه عيسو وتغير اسمه فاصبح اسرائيلوحصل عيسو على اسم آخر وهو آدوم (أي أحمر) وحل ورثته فيما بعد محل سكان منطقة جبل سعير وعرفوا بالأيدوميين وهكذا أخرج احفاد عيسو من العبرانيين كما أخرج اسماعيل وابناؤه حيث

فضل عليه أخوه اسحق وبين اولاد يعقوب الاثني عشر كان يوسف الحادي عشر وهو الأبن الأكبر لراحيل وقد باعه أخوته لجماعة في مصر فارتفع شأنه في بلاد الفرعون المصري وبعد ان عاش احفاد يوسف واحفاد أخوته في مصر عدة اجيال رجعوا الى فلسطين تحت قيادة موسى .

ان ملخص تأريخ العبرانيين هذا ليس لدينا عنه اي نص تأريخي مطلقاً عدا العهد القديم والكتب المقدسة الأخرى، ولنا أن نعرف بأن هناك فارقاً زمنياً كبيراً بين الزمن الذي يعطيه العهد القديم لهذه الاحداث وتأريخ تدوينها في اواسط القرن العاشر ق.م وهذا يثير الشك في ما جاء في العهد القديم من ناحية الى جانب عرضه للأحداث باسلوب اسطوري يعتمد على الخوارق والقوى الألهية من ناحية ثانيةوعلى اية حال فبعد تمكنهم من الدخول الى فلسطين اثر استيلائهم على بعض الممالك الواقعة في شرق الاردن اخذوا يتوغلون الى مناطق اخرى منها بالتدريج ثم قاموا بتقسيم ما استولوا عليه من اراضي على قبائلهم الاثنتي عشرة .

شكل العبريون يعد دخولهم لفلسطين اقلية ضئيلة نسبة الى السكان الاصليين في البلاد (اموريين وكنعانيين وفلسطينيين وغيرهم) حيث لاقوا مقاومة عنيفة من قبلهم ، ونتيجة لذلك فقد ظهر بين العبريين وبصورة عفوية بعض الزعماء الذين يقودوهم في وقت الخطر والشدة على قبائلهم وقد سمي هؤلاء باسم القضاة وسميت هذه الحقبة الزمنية من التاريخ

العبري باسم (عصر القضاة) وهو يشمل تقريبا الربع الأخير للقرن الاثني عشر والأرباع الثلاثة الاولى للقرن الحادي عشر وقد كان الفلسطينيون الذين سميت باسمهم ارض فلسطين من اشد الذين قاوموا العبرانيين واوقعوا فيهم هزائم شديدةوظلت اليد العليا لهم على العبرانيين الى زمن حكم اول ملك عبراني وهو شاؤول (في حدود ١٠٢٠-١٠٠٤ ق.م).

ان من أهم العوامل التي مكنت الفلسطينيين من الحاق الهزائم بالعبرانيين هو معرفتهم لمعدن الحديد الذي صنعوا منه اسلحتهم، ولكن ومنذ عهد داود (١٠٠٤-٩٦٣ ق.م) بدأت القوة الفلسطينية بالتضاؤل حيث انهم اندمجوا بالعبرانيين وبقية السكان الجزريين الآخرين وفقدوا كيانهم السياسي والثقافي المستقل.

المملكة العبرانية:

حتمت الظروف التي مر بها العبرانيون في صراعهم مع سكان البلاد الاصليين، اضافة الى تاثرهم بالممالك المجاورة الى ظهور نظام الملكية عندهم حيث تم تعيين أول ملك عليهم وهو شاؤول في حدود (١٠٢٠-١٠٠٤ ق.م) والذي يعتبر عهده بداية تاريخ العبرانيين السياسي ولكنه لم يكن حاكماً كفوءاً حيث انه هزم في معركة ضد الفلسطينيين وقتل ابناؤه الثلاثة وجرح جرحاً خطيراً ثم انتحر وأُخذ سلاحه ووضع كقربان في معبد الألهة عشتار، وتبع ذلك اختيار داود (١٠٠٤-٩٦٠

ق.م) ملكاً على العبرانيين والذي كان ملتحقاً بالفلسطينيين بعد هروبه من شاؤول قبل مقتله وذلك لشعوره بحقد شاؤول عليه لشعبيته الكبيرة، ومن اسباب اختيار العبرانيين لداود ملكاً عليهم كونه متزوج من ابنة الملك السابق اضافة الى شجاعته التي ظهرت عند التحاقه بالفلسطينيين ولأغرائه بتركهم.

ان أول عمل أقدم عليه داود هو انه جعل اورشليم عاصمة له واستطاع ان يسجل انتصاراً على الفلسطينيين ثم ضرب المؤابيين والآدوميين وبعض من القبائل الآرامية في بلاد الشام واستطاع أن يوحد قومه في دولة قوية. وبموت داود يخلفه في الحكم ابنه سليمان (٩٦٣-٩٢٣ ق.م) حيث انه كان يشارك في الحكم نهاية حياة والده، وقد وصلتنا من حكمه بعض النصوص الكتابية التي كانت معاصرة للاحداث التي حصلت خلال حكمه ولو انها تمتاز بالمبالغة وقصر الاهتمام على العبريين واحوالهم وكثرة احداثها الاسطورية.

لقد مثل حكم سليمان عهداً زاهراً ولكنه تميز بالاسراف مما لا يمكن لدويلة فتية ان تتحمل النفقات الكبيرة التي انفقها على بناء التحصينات الدفاعية والثكنات العسكرية والأهتمام بانشاء الاسطول البحري الضخم بمساعدة صديقه الملك الفينيقي (حيرام) واشتهر سليمان اكثر من ذلك في بناء المعبد المشهور باسم (هيكل) الذي استغرق العمل فيه سبع سنوات.

ان من اهم العوامل التي ساعدت سليمان على تثبيت حكمه استمرار مصر في ضعفها في حين كان الاشوريين يعانون من عدم وجود ادارة مركزية قوية ، ولكن استطاعت مملكة دمشق الآرامية التخلص من نفوذ المملكة العبرانية. ويمكن القول ان اسراف سليمان في الانفاق قد اثر تأثيراً مباشراً في انقسام هذه المملكة بعد وفاته عام ٩٢٣ ق.م.

حالة المملكة بعد وفاة سليمان:

يحدثنا العهد القديم عن النزاعات والخلافات التي ظهرت بين القبائل العبرانية بعد وفاة سليمان وكان من نتيجة ذلك قيام دولتين، فكانت اسرائيل في الشمال ويحكمها يربعام وعاصمتها شكيم ثم ترزة (تل الفرعة الشمالي قرب نابلس) والسامرةوعدد قبائلها عشرة قبائل، في حين كانت مملكة يهوذا في الجنوب وتولى الحكم فيها رحبعام بن سليمان وعاصمتها اورشليم وعدد قبائلها قبيلتين فقط. واصبحت المملكتان متنافستين واحيانا عدوتين احدهما للأخرى وكانت التمردات والمكائد سمة من سمات الدولتين.

المملكة الشمالية (اسرائيل):

من أهم مدن هذه المملكة ترصة والسامرة وشكيم ويقع جبل الكرمل في شمالها. يعتبر عومرى (٨٨٥-٨٧٤ ق.م) من اشهر ملوكها وهو الذي اسس مدينة السامرة وقد خلفه في الحكم احاب (٨٧٤-٨٥٢ ق. م) الذي دخل في حلف مع مملكة دمشق الآرامية في موقعة القرقار ضد

الاشوريين عام ٨٥٣ ق. م وانتهى حكمه عندما قام أحد قادة جيشه (يهو) بثورة ضده حيث قضى عليه عام ٨٤٢ ق.م.

ومع تصاعد قوة الدولة الآشورية في عهد امبراطوريتها الثانية (٧٤٧-٦١٢ ق،م) استطاع تجلاثبليرز الثالث (٧٤٧-٧٢٧ ق.م) ان يجعل مملكة اسرائيل ومملكة يهوذا تحت السيطرة الاشورية ودفعت المملكتان هدايا الولاء لها، وفي عهد شلمنصر الخامس رفض ملك اسرائيل (هوشع) دفع الجزية بتحريض من مصر فقام الملك الاشوري بمحاصرة السامرة لثلاث سنوات ثم اكمل فتحها من بعده سرجون الثاني في حدود عام ٧٢١ ق.م واجلى اعداد كبيرة من رجالها وبذلك تحطمت مملكة اسرائيل وزالت من الوجود على يد الاشوريين. ومن الجدير بالذكر هنا ان سرجون قد جلب جماعات من السكان من بلاد بابل وعيلام ومن اجزاء بلاد الشام الاخيرة والجزيرة العربية لتحل محل الاسرائيليين الذين اجلاهم واسكن هؤلاء السكان في السامرة واختلطوا مع الاسرائيليين الذين بقوا في المدينة وسمي هؤلاء في تاريخ اليهود فيما بعد بالسامريين.

المملكة الجنوبية يهوذا:

من اهم مدن هذه المملكة اورشليم، بيت لحم، عريقة، لاخيش، حبرون، وتمتد حتى صحراء النقب في الجنوب وشكلت في المنطقة الجنوبية من فلسطين كما اسلفنا واستمرت في الحكم لمد قرن وثلث بعد زوال المملكة الشمالية اسرائيل وقد تعرضت هذه المملكة مع بداية

تشكيلها الى غزو الفرعون المصري شيشنك الأول الذي دخلها في السنة الخامسة من حكم ملكها الاول رحبعام بن سليمان واستحوذ على كنوز معبدها وقد صورت هذه الحملة من قبل فناني مصر القديمة على جدران معبد الكرنك وكان من نتيجة هذه الغزوة ان عقدت مصاهرة سياسية بين الطرفين حيث تزوج يربعام من أحد بنات الفرعون المصري، ولكن خلفاء شيشنك لم يستطيعوا الحفاظ على الوجود المصري في فلسطين مما ادى الى نهاية نفوذهم فيها.

تعرضت المملكة الى الهجمات الاشورية وخصوصاً بعد زوال مملكة اسرائيل عام ٧٢١ ق.م كما مر بنا وأخذت تؤدي فروض الطاعة والولاء للآشوريين في اوائل حكم حزقيا (٧٢١-٦٩٣ ق.م) فاستطاعت ان تتوقى الهجمات الاشورية بشكل مؤقت، ولكن الامور لم تبقى على ما هو عليه فتمرد حزقيا فيما بعد بتحريض من مصر ضد الدولة الاشورية ونتيجة لذلك قام كل من سرجون وسنحاريب بسلسلة من الحملات العسكرية ضد المدن الفينيقية والفلسطينية وبلغت ذروتها في عام ٧٠١ ق. م عندما قام سنحاريب بمحاصرة عاصمة يهوذا اورشليم الان ان هذا الحصار لم يحقق النصر كما يخبرنا العهد القديم بسبب تفشي الوباء الذي ربما كان الطاعون اذ اشار بعض الباحثين الى ان ملك مصر قد ارسل فئراناً لنشر ذلك الوباء بين صفوف الجيش الاشوري.

ومهما يكن من أمر فان مدناً عديدة تقع بجوار اورشليم تم فتحها، وبقي حزقيا على عرشه مقابل دفع هدايا الولاء للملك الاشوري الذي جلب معه قائمة طويلة بالغنائم التي تدل على ثراء المدن الفلسطينية. وقد بقي حزقيا مواليا لسنحاريب وابنه اسرحدون من بعده حيث مر اسرحدون في فلسطين عندما شرع يفتح مصر.

وفي عهد اشوربانيبال بقيت المدن الفلسطينية على ولائها السابق حتى أخر سنوات الدولة الاشورية وسقوط نينوى عام ٦١٢ ق.م.

أما في عهد الدولة البابلية الحديثة (٦٢٦-٥٣٩ ق.م) فقد ترددت مملكة يهوذا بين سياسة الخضوع لها وبين سياسة التحالف مع مصر ونتيجة لذلك فقد شهدت حملات عسكرية من قبل الملك الشهير نبوخذنصر الثاني (٦٠٤-٥٦٢ ق.م)

ولابد لنا ونحن نختتم هذا العرض السريع لتأريخ العبرانيين ان ننوه ببعض الأوجه الحضارية في حياتهم، وكما اوضحنا انفاً فان العبرانيين اخذوا من الكنعانيين لغتهم وحروفهم الهجائية وتعلموا الزراعة منهم.

وفي مجال الديانة كانت صفات (يهوه) الأله الرسمي للعبرانيين فيها الكثير من صفات (بعل) الكنعاني مع تأثرهم الواضح بالموسيقى والتراتيل الدينية الكنعانية، كما كانت عادات الدفن وعقائد ما بعد الموت مشابهه لتلك التي كانت عند الكنعانيين. وينبغي علينا القول ان تأثير

العبرانيين في الحضارة الانسانية يكاد ينحصر في الناحية الدينية في مسألة الوحدانية التي تبلورت وتطورت عندهم وكان من افرازات تأثيرها الديانة المسيحية، كما ان اقامة اليهود في بابل بعد الجلائين لهم في عامي ٥٩٧ و٥٨٦ ق.م اعطتهم فرصة للأطلاع على اداب وفنون حضارات منطقة الشرق السومرية البابلية واليونانية المتعلقة بمفهوم الحياة والموت والكون والثواب والعقاب والملاحم البطولية والشعرية والتنبؤات الغيبية، وبالتالي التأثر بها وبرز هذا التأثير واضحاً في مدوناتهم التأريخية والدينية والأدبية التي ظهرت في كتب التوراة والتلمود وهذ ما حدد صيغة توجهها اليهودية واكسبها عدائية في منهجها وانغلاقاً في علاقاتها بالديانات والاقوام الاخرى.

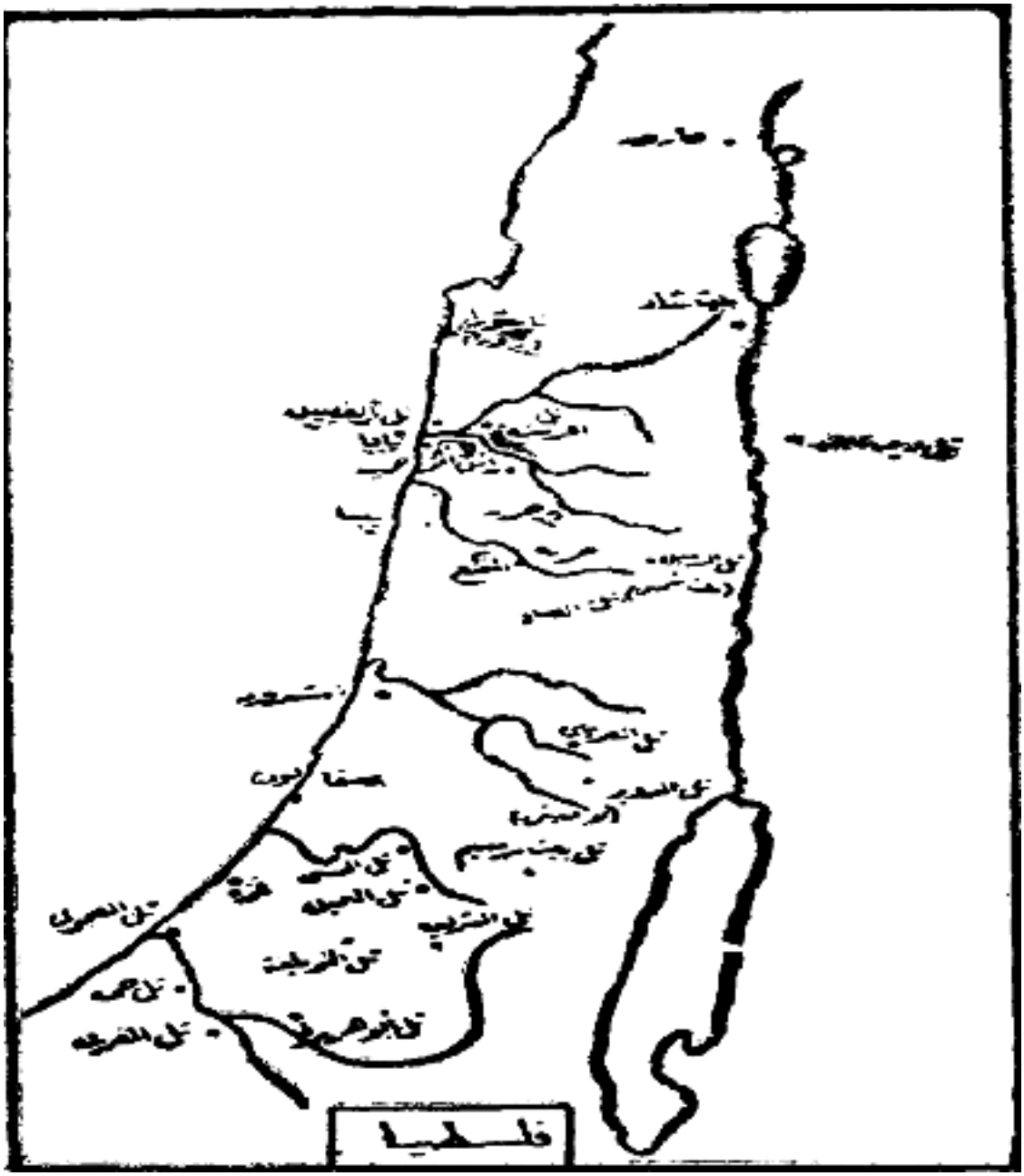

جنوب بلاد الشام قديماً

الاناضول

الحيثيون :

جغرافية بلاد الأناضول.

أن المنطقة التي سكنها الحيثيون وأسسوا فيها مركز دولتهم الكبرى في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد ، تقع في قلب الأناضول عند منحنى نهر الهاليس (قزيل أيرمق حالياً) ، وهي عبارة عن شبه جزيره شاسعه يبلغ طولها ستمئة ميل تقريباً وعرضها حوالي ثلاث مائة ميل ، وتطغى التضاريس العالية على تكوين سطحها في الغالب ، فمنطقه وسط بلاد الحيثيين أشبه ما تكون بالهضبة المرتفعة المحاطة بالمرتفعات الجبليه ، فمن الشرق تحيطها جبال طوروس الداخلية وجبال أرمينيا ، ومن الجنوب تحدها جبال طوروس ، أما في الغرب والشمال فتقع حولها سلاسل من الجبال غير المتصلة.

وتمتد جبال طوروس إلى الجنوب الغربي حتى تصل إلى البحر المتوسط في حين أن المرتفعات الشرقيه تسير في أتجاه شمالي شرقي بمحاذاة سواحل البحر الأسود والبحر المتوسط، أي من الاسكندرونة إلى خليج باطوم ، ثم يدور طرف تلك السلسلة ليلتقي الجبال المعروفة باسم بونتكارك (Pontic Arc) ، وتتصل الأخيرة ببعض الأخاديد العميقة التي تمر عبرها مياه الأنهار إلى البحر الأسود.

وتتنوع المناظر الطبيعية التي تحف بتلك الجبال المحيطة بوسط بلاد الحيثيين ، أو على منحدراتها ، فعلى جانبيها تنتشر الكثير من الوديان والسهول الخصبة التي تدر محاصيل طائله وتغطى منحدراتها بالغابات

الكثيفة ، لا سيما التي تواجه البحر الأسود ، فيما تمتاز المنطقة الساحلية شمال الأناضول وشرق نهر الهاليس ، بكونها مرتفعات جبلية غنية بالمعادن وخاصة بالحديد ، ولهذا كان للحيثيين الريادة والقدم في نشر الحديد بين بلدان الشرق الادنى القديم.

وقد شكلت تلك الجبال عامل منعه طبيعية كانت تقي المملكة الحيثية وطأة الأخطار الخارجية ، أذ فصلت تلك المرتفعات البلاد الحيثية عن المناطق الساحلية المكشوفة التـــي تحيط بها من الشمال والجنوب ، أما المرتفعات الشرقية تحديداً بأمتداداتها الطويلة ومساراتها المتغيرة، فقد فصلت أراضي المملكة عن بلاد الشام وبلاد الرافدين وبلاد فارس ، ما عدا بعض الممرات الجبلية التي وجدت عبرها وساعدت بالتالي على قيام التواصل الحضاري بين سكان الأناضول القدماء وشعوب هذه البلدان ، فأصبحت أسيا الوسطى جسراً بين الشرق وعالم بحر أيجة ونهر الدانوب ، وحتى تلك الممرات كان بإمكان الحيثيين أحكام السيطرة عليها من مواقعهم الحصينة على قمم جبال طوروس وما يتفرع منها من جبال أخر ، وعلى النقيض من ذلك نجد أن البلاد مفتوحة برمتها صوب أوربا فلا يفصلها عنها سوى بحر مرمره الذي يضيق في مضيقي الدردنيل جنوباً والبسفور شمالاً .

ومن المزايا الطبيعية الأخرى للبلاد وجود حوض ضحل تنصرف مياهه إلى بحيرة طوزجول القريبة ، وإلى الشمال منها توجد سلسلة من المرتفعات الخارجة من الهضبة الشرقية تنقطع عند ساحل البحر الأسود ، وفي غرب البلاد توجد عدة بحيرات وأنهار تنحدر بشدة نحو البحر ،لأن

شبه الجزيرة ينتهي بسلاسل جبلية متوازية تمتد نحو بحر إيجة ، وهي امتداد للسلاسل الموجودة في بلاد اليونان .

ويعتبر نهر الهاليس من أعظم وأبرز الأنهار التي تجري في بلاد الحيثيين آنذاك وهو ينبع من المرتفعات الشرقية ، ثم ينحرف مجراه إلى اتجاه جنوبي غربي عند اقترابه من بحيرة طوزجول المالحة لوجود سلسلة ثانوية مـــن الجبال تعترض مجراه الأصلي وبعد ذلـــك يخترق النهر التلال الشمالية في اتجاه شمالي شرقي حتى يصب في البحر الأسود.

ومع أن نهر الهاليس يتسم بغزارة مياهه ، فإن بالإمكان عبوره في جهات متعددة قبل انعراجه شمالا ، لذا فلا غرابة أن تكون المنطقة الملاصقة لجنوبي النهر داخلة ضمن الأراضي الحيثية ، وتشمل هذه المنطقة الأراضي المحيطة بقيصرية (مازاكا) التي تمتد إلى طيانة ، وتضم السهل الذي ينبسط غربا باتجاه قونية (أيكونيوم) ، وهي في الحقيقة تكون النصف الجنوبي الشرقي من الهضبة الوسطى ، وتمتاز بكثرة الأثار التي تدل على نشأة ما شاع تسميته' (الكتابة الحيثية) ويبدو بأن هنالك طريقين رئيسيين يخرجان منها ، أحدهما يتجه جنوباً والأخر يذهب نحو الشرق وكلاهما يؤدي إلى مرعش ومنها إلى ملطيه ، ومما يدل على ذلك كثرة الأثار التي عثر عليها ، فهي تحدد هذين الطريقين تحديداً بيناً ، كآثار أكرك وجورون ودرنده وبالانجه والبتان ، بالإضافة إلى منحوتات القصور في مرعش وملطيه نفسها ، لذا يمكن الاستنتاج ان الحيثيين عقب فرض سيطرتهم على مجموعة القبائل الحيثيه أستولوا على

مركز حربي هام يقع في الأصقاع الجنوبية والشرقية من هضبة الأناضول ويهيمن على الممرات الواقعه خلف جبال طوروس ، وقد كانت السيطرة على هذه الممرات من المسائل الحيويه لأمن الحيثيين وتحقيق أحلامهم في أنشاء إمبراطوريه .

وتقع العاصمة الحيثية (حاتوشاش) على بعد (٨٠ ميلا) شرق أنقرة ونصف هذه المسافة جنوب البحر الأسود في شمال الأناضول على مرتفع من الأرض، وتحيطها الوهاد العميقة من جهتي الشرق والغرب ، في حين تحدها من الشمال صخور وعرة شديدة الأنحدار ، وقد أمنت هذه الظروف الجغرافية الحماية الطبيعية للعاصمة من هذه الجهات ، أما بالنسبة لجهة الجنوب فمع أن العاصمة الحيثية تصبح مكشوفة من هذا الجانب، فإن ما أنشأه الحيثيون من أسوار ذات أبراج عالية أسهم إسهاما فاعلا في سد الثغرة هناك ، ويبدو أن موقعا بهذه المواصفات الطبيعية ، هو اقرب لأن يكون قاعدة عسكرية منه لأن يصبح مركزاً لأداره الدولة ومن ثم الإمبراطورية.

إلا أن ذلك لا يعني إن العاصمة الحيثية كانت معزولة عن العالم المحيط بها آنذاك ، أو أنها لم تتلق مؤثرات خارجية بالمرة بل على العكس من ذلك نجد أن حاتوشاش كغيرها من حواضر الشرق الأدنى القديم تمتلك من المميزات والمواصفات ما يؤهلها لأن تكون المقر الرئيس للدولة أو الإمبراطورية الحيثية ، وقد أثرت وتأثرت بالبلدان المحيطة بها من شتى الأصقاع ، فبالأضافه لما تقدم ، فأن موقع العاصمه جعلها على مقربه من نقطه ألتقاء أقدم طريقين للتجارة، ونعني بهما الطريق الذي

يأتي من الساحل الأيجي مروراً بنهر الهاليس السفلي ويتجه إلى سيفاس والشرق ، والطريق الذي يتجه جنوباً من ميناء أميسون على البحر الأسود حتى مداخل كيلكيه ، وموانئ البحر المتوسط مروراً بممرات جبال طوروس التي تتصل ببلاد الشام أيضاً، ويتصل بهذين الطريقين ، طرق فرعية ربطت بلاد الحيثيين بسائر أنحاء منطقه الشرق الأدنى الأخرى ، وقد أسهمت هذه الطرق في أيجاد نوع من الالتقاء الحضاري بين الشعب الحيثي وبقيه شعوب المنطقة آنذاك نتيجة للنشاط التجاري المتبادل بينهما ، الذي كان يمر عبرها بالدرجة الأساس ، كما أسهمت في تهيئة منافذ العبور للحملات العسكرية الحيثية التي كانت تشن ضد خصومهم في الداخل وأعدائهم في الخارج ، ولكنها على العكس من ذلك جعلت العاصمة الحيثية عرضه لغارات الأعـــداء والثوار ، وهـــذا ما حاول ملوك حاثي تلافيه بإقامة التحصينات الاصطناعية والأسوار الضخمة التي تجاوز محيطها الأربعة أميال.

وإزاء ما تقدم ، يمكن القول أن أراضي المملكة الحيثية تتنوع تضاريسها الطبيعية فهنالك السهول الساحلية المنبسطة والجبال المرتفعة والوديان المنخفضة ، وقد أنعكس ذلك على اختلاف المناخ وتباينه في أجزاء البلاد المختلفة ، مع أن السمة البارزة فيه الشتاء القارص الطويل، لذا لم تكن الأناضول مغرية بالسكنى في الألف الرابع قبل الميلاد[٧].

٧ - عبدالغني غالي فارس السعدون : التنافس الحيثي - المصري على بلاد الشام إبان العهد الإمبراطوري المصري (١٥٧٠ – ١٠٨٠ ق.م) ، بغداد ، ٢٠٠٥، ٢٧.

يُعتقد ان الحيثيون من نسل حام الذين استوطنوا البلاد ولكننا لم نعرف شيئا من أمر مجيئهم ولا زمان ذلك ، وقد أختلف حول أصل الحيثيين ويرجح أنهم وفدوا الي هضبة الأناضول في بداية الألف الثاني قبل لميلاد من موطنهم في أوساط أسيا الي الشرق من البحر الأسود وأنهم فرع من فروع الشعوب الهندو – اوروبية ، واصبحوا في القرن الأخير من الألف الثاني قوة مدت نفوذها علي ما حولها من البلاد. أحتل الحيثيون عند قدومهم جزء كبير من وسط هضبة الأناضول عند منحي نهر العاصى وقد عثر فيها في أوائل سنوات هذا القرن علي كثير من الوثائق الهامة وبخاصة الألواح التي تشمل الأرشيف الملكي.

وأشتهر الحيثيون بقوة شوكتهم وقد كان الحيثيين من أشد أعداء المصريين وقد غلظ أمرهم وعظم جاههم كثيرا خلال عهد الملك "سيتي الأول" الذى قهرهم وتوغل في بلادهم حتي بلغ منطقة ما بين النهرين وكان لرعمسيس الثانى حرب شديدة معهم وأدعي الفوز والواقع علي ما تبين جليا انه لم يتمكن من اخضاعهم التام اذ أستمرت الحرب نحو أربع عشرة عاماً وحالفهم فى نهاية الامر تجنياً لشرهم ، فلا يخفي في هذا من البرهان الصريح علي قوة الحيثيين وقتئذ.

وتفرق الحيثيين في عندما ضعفت مصر وبدات مملكة أشور تصعد قوتها ولكنها لم تكن قادرة علي غزو سوريا فى هذه الفترة ، ولما تفاقم أمر الأشوريين وشرعوا يغزو الأقطار البعيدة هاجموا سورية فوجدوا الحيثيين مقاومين لهم وأول من حاربهم من ملوك أشور (تجلت بليرزالأول) حوالى ١١٣٠ ق.م وهاجم الحيثيين المجاورين للفرات منهم

ثم تقدم وبلغ بلاد الحيثيين وتوغل فيها وأخذ الجزية من ارواد وجبيل وصيدا وصور ويبدو ان سوريا كلها تقريباً خضعت لأشور ما بين (٨٨٣-٨٥٨ ق.م) الا أن الحيثيين وغيرهم خرجوا على اشور كما يتضح من هجمات ملوك أشور المتعددة في بلادهم فقد قاتلهم (شلمنصر الثاني) سنين متتالية كما ورد في كتباتهم .

وحوالي عام ١٦٤٠ ق.م أستطاع أحد ملوكها المدعو (لابارناس) مد نفوذه علي أجزاء كثيرة داخل الأناضول ثم تمكن (خاتوسيل الأول) من توسيع رقعة ملكه ورمي بعينه الي اخضاع شمال سوريا والسيطرة علي طرق التجارة بينها وبين اشور وبابل ، وتمكن خليفته (مورسيليس الأول) من تحقيق فكرة استيلائه علي حلب وغز أراضي الفرات ، ولكن هذا الغزو لم يعمر وقتا طويلا .

ومرت فترة علي هذه الاسرة استطاعت خلالها أن توطد وتقوي ملكها داخل حدود أسيا الصغري ، ثم قام الملك (شوبيلوليوما) حوالي عام ١٣٨٠ق.م بمد نفوذ الحيثيين علي منطقة واسعة في شمال سوريا وأصطدم بالمتيانيين ونصب حاكما مواليا له في المدن وحاول مد سلطانه أيضا علي بلاد وادي نهر العاصي ومدن فينيقيا وجنوب لبنان التى كانت موالية لمصر.

ووصلت قوة الحيثيين أوجها حوالي عام ١٣٥٠ق.م ولكن اتساع رقعة ملكهم كانت سبب في ظهور الضعف فيها ولم تكن هناك مفر من وقوع الصدام بين خيتا ومصر ودارت بينهم الحروب وانتهت بالصلح وتوقيع المعاهدة الشهيرة بينهم وبين "رمسيس الثاني" وأصبحت الصلة بين

البلدين صلة مودة وصداقة بل ومصاهرة بين البيتين المالكين ، وحوالي عام ١٢٥٠ق.م سقطت الإمبراطورية الحيثية تحت الضربات التي تلقتها من هجرات وغزوات قام علي الأرجح فرع من فروع البحر ، واذ كانت الإمبراطورية الحيثية قد زالت وانتهت أيامها ، فان عناصر الحضارة الحيثية ظلت حية لا في هضبة الأناضول فحسب بل وفي شمالي سوريا أيضا ، حيث تأثرت كثيرا من مدنها وبخاصة في حلب وفي سوريا وفي غيرها بتلك الحضارة

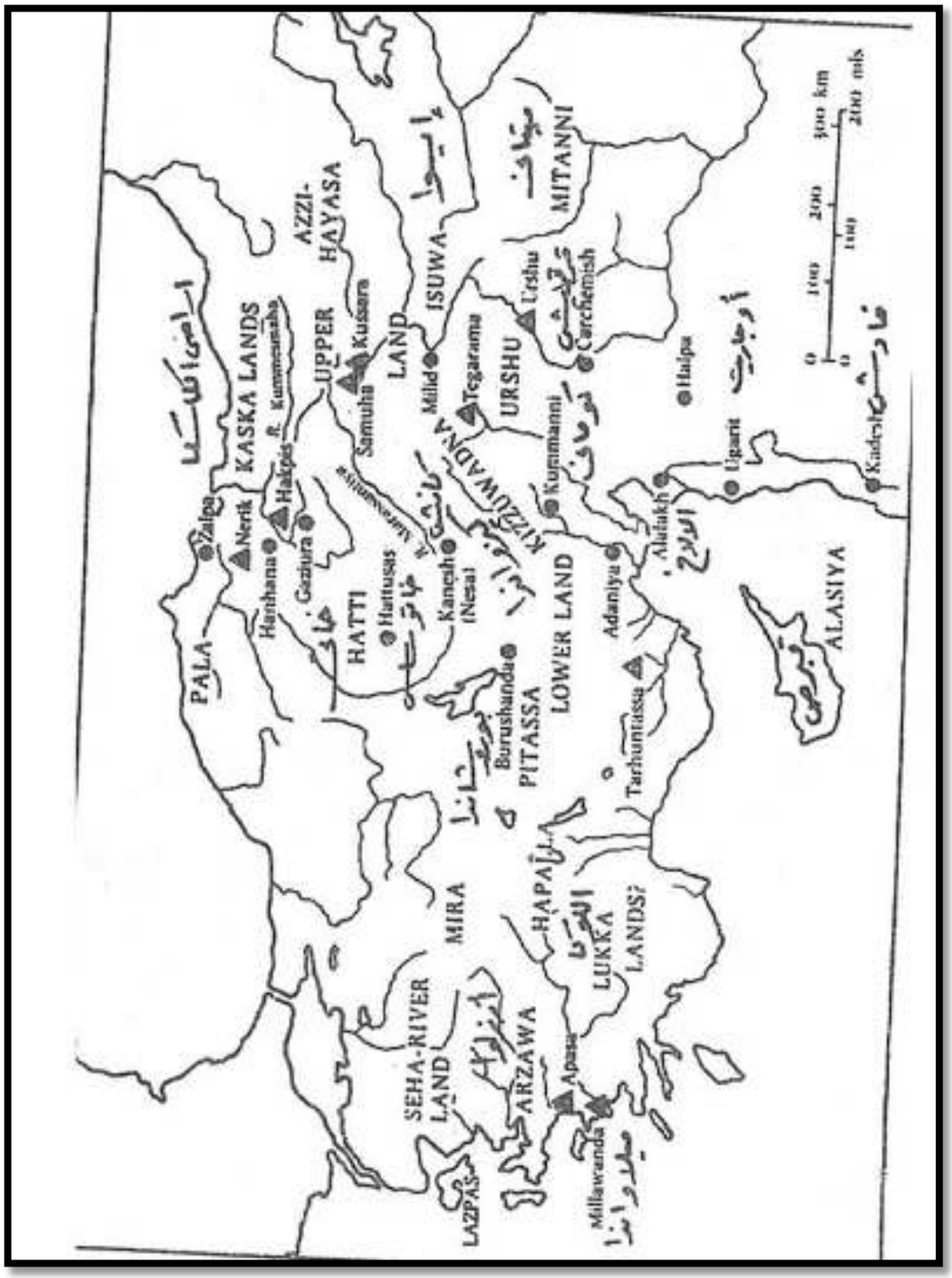

الاناضول فى العصر الحيثى

بعض المظاهر الحضارية عند الحيثيين :

أمكن معرفة اللغة الحيثية من دراسة الالاف من ألواح الطين التي عثر عليها في بوغازكوي وأتضح أنهم يستخدمون في ما بينهم لغتين يتحدثون بها ترجعان إلي أصل واحد أولها "اللغة النسية " وكانت لغة البيت المالك ، والثانية "اللغة اللوفية " التي كان يستخدمها عامة الشعب والمنتشرة انتشارا كبير في البلاد. ومن دراسة نصوص بوغازكوى وقف العلماء علي الكثير من أساليب إدارة البلاد ، كما عرفوا أيضا الكثير عن ديانة هذا الشعب واقتصادياته .

لم يكن الملك رئيس الدولة فحسب بل كان أيضا الكاهن الأكبر ، ورئيس الجيش الذي يقوده في المعارك ، وكان القاضى الكبير الذي يحكم بين الناس في منازعاتهم ، وكان لأمه الحق في تولي مهام منصبه عند غيابه ، وكان يحيط بالملك مجلس استشاري من النبلاء ، ويقوموا حكام الاقاليم بالحكم مع الملك ، ومن أهم واجبات كل حاكم منهم أن يمد الجيش الامبراطوري بما يلزمه من جنود عند الحاجة مع الاحتفاظ بحامية ثانية لحماية وصيانة الأمن والنظام .

يقوم المجتمع الحيثي علي الزراعة وتربية الحيوان وكان في قوانينهم ما يكفي لحماية هذه الثروة مثل تحديد أثمان

المحاصيل كما حددت أجور بعض فئات الصناع ، ولكن ثروة الحيثين لم تكن مستمدة من الزراعة أو تربية الحيوان بل كانت في الواقع من المعادن التي تحتوى عليها بلادهم والتي كانوا يستخرجوها وعرفوا طرق صنعها ، ومنها النحاس والفضة والرصاص ، ويعتقد كثيرا من الباحثين في تاريخ الصناعة أن الحيثيين أول من عرفوا صناعة الحديد وأنهم جمعوا ثروة من الأسلحة المصنوعة منه التي كانت تفضل عن الأسلحة المصنوعة من النحاس والبرونز وكان لهذا المعدن أثر كبير علي حياتهم .

الممالك الحيثية الحديثة في شمال سورية

العصر الحثي الحديث

في بداية الآلف الأول قبل الميلاد انتقلت بلاد حاتي كتسمية جغرافية من موطنها الاول في الألف الثاني قبل الميلاد في الهضبة الأناضولية الى شمال سورية مكونة ممالك صغيرة.

والممالك الحثية الحديثة ، او الحثية المتأخرة او سوري-حثي تعني مجموعة من الممالك الصغيرة في شمال سورية و كليكيا و الجزء الأوسط من جنوب بلاد الأناضول بعد عام ١٢٠٠ق.م ، وعلى الرغم من اوجه الشبه اللغوية والثقافية بين هذه الممالك الا أنها لم تكن موحدة سياسيا ولا عرقيا واستنادا الى هذا يمكن تقسيمها الى :

اولا: ممالك ذات صفة حثية الى حد كبير مثل كركميش وكركم وميليد وكومخ وانقي.

ثانيا: ممالك ذات خليط سكاني مثل قوي وسمأل وتل بارسيب وحماة.

ثالثا: ممالك ذات اغلبية آرامية مثل ارباد ودمشق.

ويمكن ان تساوي بلاد حاتي في العصر الاشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م) بالممالك المستدل عليها اثاريا وتاريخيا التي ازدهرت في شمال سورية في بواكير الآلف الاول قبل الميلاد.

ولم تستخدم هذه الممالك اللغة الحثية المكتوبة بالمسمارية على الواح الطين (كتلك التي في ارشيف حاتوشا) بل استخدمت الخط الهيروغليفي وباللغة اللويانية.

وبلغ عدد الممالك الحثية التي ظهرت في شمال سورية احدى عشرة مملكة وهي:-

١- أرباد

سماها الآشوريون ارباد منذ عام ٨٧٠ ق.م ، وتقع المملكة الى الغرب من كركميش . والى الغرب من نهر الفرات في مكان يعرف بـــ (تل رفعت) وهو يشكل الان قرية تعرف بالاسم نفسه على بعد ٣٥كم شمال حلب. ولم يتم التنقيب في هذه المملكة لحد الان.

٢- اونقي

تقع مملكة اونقي في سهل انطاكيا الواسع ذي الحدود الطبيعية وفيه جداول وانهار منها نهر افرين و العاصي (الاورنتس) . وتسيطر على الممر المؤدي الى البحر، وكانت عاصمتها كولانا التي وردت في العهد القديم بـــ كالينة والتي توجد اطلالها عند موضع تل تيانات الواقع بين مملكتي اونقي و ارباد حيث تم اكتشاف قصر ومعبد هناك، اما تل عين دارا فانه يشكل جزءاً اخر من مملكة اونقي التي تبعد ٤٠ كم الى الشمال الغرب من مدينة حلب تحدها من الجهة الجنوبية مملكة حماة، ومن الجهة الشرقية مملكة أرباد ومن الجهة الشمالية مملكتا سمأل وقوي .

وبدأ التنقيب في سهل انطاكيا ما بين عامي(١٩٣٣-١٩٣٨) فأظهر النمط المعماري لتاريخ المنطقة وبين بان مدينة كولانا العاصمة انتقلت على ما يبدو الى مدينة تل-تيانات بعد ان دمرها سكان البحر وتم اكتشاف سلسلة من القصور على طراز خيلاني مبني من الاجر فضلاً عن اثار مدينة خارجية ذات مدخل

اما التنقيبات في منطقة عين دارا وهي جزء من مملكة اونقي فقد نفذتها الدائرة السورية للاثار . وكشفت عن بقايا معبد عشتار-ساوسكا ونلاحظ ان جدران المعبد وبالتحديد القسم

الاسفل كان مزيناً بنقوش ونحوت تمثل الاسود واله الجبل وان الاسود كانت توضع في مداخل المعبد كما في بنايات العصر الحثي الحديث التي لها روابط مع بلاد الاناضول وبوغازكوي وعلى الرغم من انه مستوطن كبير في اثناء العصر الحثي الحديث الا ان الموقع لم يصبح عاصمة وربما كان مركز طقوس ، كما استخرج المنقبون مجموعة من التماثيل دونت عليها كتابات تشبه خصائص مجموعة التماثيل المكتشفة في بوابة الماء في كركميش وتمثل التماثيل الفترة المبكرة الاولى للأسلوب الحثي الذي يؤرخ الى النصف الاول من القرن العاشر قبل الميلاد .

٣- تابال

تقع مملكة تابال في الزاوية الجنوبية الغربية للسهل الاناضولي (كبدوكيا القديمة) مكونة بيت-بورتاش وهي تسمية ثانية الى جانب تابال التسمية الجغرافية اما بيت بورتاش فهو الاسم السياسي ونطاق دائرة السيادة وعاصمتها كلولو الحالية وضمت امارة توانا (تيانا القديمة) التي تركزت في نكَدي الحالية واصبحت مملكة فيما بعد . وهناك من يحدد موقع مملكة تابال (توبال بالعهد القديم) التي يكون جبل الله داغ حدها الغربي الذي يسد مدخل المضيق الكبير الى الابواب الكليكية ويسيطر على الطريق الذاهب الى سورية بطريق مرعش .

أما المعلومات الخاصة بجغرافية مملكة تابال وموقعها خلال عصر الملك "تجلاتبليزر الثالث" ملك أشور فإنها افضل بكثير فالحاكم انذاك واسورمي وابوه توانا قد تركا مجموعة كتابات ولموقعها اهمية ستراتيجية فهي:

أولا: تسيطر على طريقي المرور اللذين يربطان اسيا الصغرى بشمال سورية طريق كز بيل وكورو بيل ، كما تسيطر على المدخل الشمالي للباب الكيليكي وعلى طريق المرور لـــ كزل ارمك وهذا يعني ان مملكة تابال قد احتلت موقعا ستراتيجيا مهما من الناحية الجغرافية لطرق المواصلات في اسيا الصغرى .

ثانيا: فيها مناجم الحديد والنحاس والفضة المهمة بالنسبة للاشوريين وقد اثبتت غناها من خلال حجم الاتاوة الضخمة المدفوعة لبلاد اشور والتي وصلت الى عشرات الطالنات من الذهب والفضة .

واظهرت التنقيبات ثلاث مسلات وتم تحديد بعض المدن التالية من خلالها مثل كولولو وهي جزء من تونا وكذلك شنوختو في قيصرية والاخيرة موقع خوبشنا.

ورد ذكر مملكة تابال في المصادر الاشورية الحديثة والمصادر الهيروغليفية والمصادر الاورارتية .

٤- تل بارسيب

تقع مملكة تل بارسيب وتعرف بـــ تل احمر حاليا في سورية على الضفة الشرقية لنهر الفرات حوالي٢٠ كم جنوب مملكة كركميش و ١٠٠ كم شمال مملكة حلب. وتل بارسيب (تل احمر) هي عاصمة بيت-أديني التي تسيطر على الأراضي الواقعة الى الجنوب والشرق من مجرى نهر الفرات . ويبدو ان الموقع كان مستوطناً قبل مجيء الحثيين بدليل العثور على مسلات تصور الاله الحثي تيشوب وكتابات بالخط الهيروغليفي الحثي.

واثاريا المدينة القديمة واضحة المعالم وتمثل مساحة من الارض شبه دائرية وتمتد مساحتها الى نهر الفرات وهناك ثلاثة منخفضات تدل على وجود ثلاث بوابات هي :

الاولى باتجاه الشمال الشرقي وفيها أسدان وتؤدي الى نهر الفرات.

اما الثانية فهي باتجاه الشمال الغربي وعثر فيها على مسلة حثية.

اما البوابة الثالثة فلم يتم العثور فيها الا على حوض محفور في الصخور .

وقد اسفرت الحفريات عن استخراج مسلة مكسرة لاسرحدون(٦٨٠-٦٦٩ق.م) بالقرب من البوابة الشمالية الشرقية من السور (كما في الشكل ذي الرقم ٤).فضلاً عن لقى متنوعة مثل الاواني والكؤوس و الاباريق الملونة و اوانٍ معدنية واسلحة برونزية .

اما قصر تل بارسيب العائد للملك تجلاتبليزر الثالث فامتاز باللوحات الجدارية الاشورية الملونة .

٥- حماة

وتقع مملكة حماة على نهر العاصي واشتملت على الاقليم السوري الاوسط وحتى الصحراء شرقا و مملكة ارباد من الشمال ومملكة دمشق من الجنوب. وضمت مملكة حماة مقاطعات مهمة مثل ختاريكا و لخوتي و منصواتي.

يجري نهر العاصي على ارض المدينة باتجاه الشمال الغربي وهي منطقة غنية على نحو ممتاز وذات تربة داكنة واشتهرت أراضيها بالزراعة وعرفت بخصوبتها كما اكتسبت بموقعها مكانة مهمة واستراتيجية من الناحيتين التجارية و العسكرية وصارت من ابرز المحطات التجارية التي سيطرت على الممرات وطرق التجارة، ومملكة حماة بموقعها هذا تحتل جزءاً مهماً من بلاد الشام.

كشفت التنقيبات عن قصر حيثي حديث ومعبد وظهرت كتابات هيروغليفية ذات الطابع حثي واظهرت الهضبة الصغيرة المحصنة بناءً ضخماً ذا غرف حجرية وبناية صغيرة ذات طراز خيلاني وبقايا بوابة داخلية ومن ناحية اخرى ظلت الأسود تحيط البوابات حيث تم اكتشاف منحوتة ضخمة منفصلة.

وعرفت المدينة منذ عصور ما قبل التاريخ و أثبتت التحريات الاثرية ان هناك استيطاناً في الموقع يعود الى عصر سلالة اور الثالثة (٢١١٣-٢٠٠٦ ق.م) بدليل الاختام الاسطوانية وهذا يدل على نشوء حضارة مبكرة في المدينة تعود الى بداية الالف الثاني قبل الميلاد وبقيت المملكة تابعة للسيطرة الميتانية التي شملت الاقسام الشمالية من بلاد سورية وارض الرافدين .

وفي نهاية القرن الخامس عشر قبل الميلاد اصبحت المملكة تحت الحكم الحثي وقد وصفتها النصوص المصرية بـــ الحصن الحثي وقد ادعى الفراعنة المصريون انهم سيطروا عليها .

ان كون حماة مملكة حثية حديثة غير مؤكد لكن الحضارة الحثية كانت سائدة خلال القرن الثاني قبل الميلاد بعد انهيار الإمبراطورية الحثية ومستدلاً عليها بالمقابر الحثية الكبيرة. وبعد

عام ١٠٠٠ ق.م اصبح ملوك حماة اكثر شهرة وحمل بعضهم اسماء حورية.

وخلال القرن الحادي عشر قبل الميلاد بدأ التأثير الارامي في حماة بدليل الاثار الآرامية التي تعود الى هذا القرن . وهي بذلك تعد مصدراً للعديد من المخطوطات .

وردت المدينة في حوليات الملوك الاشوريين خلال الالف الاول قبل الميلاد وبقيت تحت حكم الملوك الاراميين حتى سقوطها عام ٧٢٠ ق.م على يد سرجون الثاني .

وبعد سقوط نينوى اتخذها كل الفرعون المصري عام ٦٠٥ ق.م والملك نبوخذ نصر الثاني(٦٠٥-٥٦٢ق.م) عام ٥٩٥ ق.م واحدة من مدن مملكة حماة وهي مدينة ربلا قاعدة لهما) .

وبسبب ندرة المصادر التي تخص سورية في الفترة الاخمينية لم يسمع عن حماة حتى اعاد تأسيسها انتيخوس الرابع بحدود عام (٢١٥-١٦٥ق.م) وعلى اية حال فان الاسم القديم ظل مستمراً في التداول حتى الوقت الحاضر . وما تزال البنايات الاسلامية واثارها واضحة المعالم حتى اليوم.

٦- سمأل

ورد اسم المدينة بصيغة في النصوص المسمارية (حاليا زنجرلي) وتقع مملكة سمأل في شمالي سورية على ارض

منبسطة الى شمال مملكة اونقي والى الجنوب من مملكة كركم) والى الشمال الغربي من مملكة كركميش والى الغرب من مملكة ارباد وتمتد حتى خليج الاسكندرونة ومن ضمن اراضيها سفوح سلسة جبال الامانوس في المنطقة المسماة (زنجرلي) .

كانت سمأل مركزاً حثياً مهما بالنسبة لطرق الموصلات والتجارة حيث يتقاطع عندها طريقان رئيسيان احدهما قادم من مرس والثاني آتٍ من نهر الفرات عند مملكة كركميش ويستمر على طول جبل الامانوس الى كليكيا فهو امتداد للطريق الرئيسي من الشرق الى الغرب في اثناء الحروب والتجارة. لذا فقد تمكن الاشوريون من السيطرة على هذا الطريق لانه طريق اشور الوحيد للوصول الى جبال طوروس ومناجمها واخشابها .

اظهر المنقبون الالمان مسلة تعود لأسرحدون الذي سجل اخضاعه للأمير عبد ملكوتي ملك صيدا وزحفه نحو ملكي مصر والنوبة كما عثر المنقبون على مسلة تعود لـــ بار–راكب .

وهو جالس على عرشه فضلاً عن نقش كيلامو المكتشف في الموقع .ورد ذكر المملكة في المصادر الاشورية والفينيقية والارامية ويعتقد ان المملكة قد أسست في الفترة الممتدة ما بين القرن العاشر والثامن قبل الميلاد استنادا الى نقش كيلامو المكتشف في الموقع .

لقد شهدت المملكة تعقيدا عرقيا خلال العصر الحثي الحديث ويغلب على مخطوطاتها الطابع الارامي كما ان العديد من ملوكها يحملون أسماء حثية فالمملكة تمثل مزيجا ملفتاً للنظر من العناصر الحثية والآرامية وتتضمن هذه العناصر سلالة حاكمة حمل اعضاؤها اسماء كلا الشعبين .

ومن جانب اخر تشير فنون النحت والعمارة الى الطراز الحثي الذي له صلات مع مدن شمال سورية وهكذا فهي ذات خلفية حثية شأنها شأن باقي الممالك في المنطقة .

٧- قوي

جاء اسم المملكة بصيغة قوي ، كوي سهل كليكيا او خيلاكو وخيلاكو هي جزء من قوي .

يعد سهل كليكيا الموقع الجغرافي لها يحدها البحر المتوسط من الجنوب وجبال طوروس من الشمال والغرب ، وسلسلة جبال الامانوس من جهة الشرق . وتعد حلقة وصل بين سوريا والأناضول وهي ضمن الأراضي التركية في الوقت الحاضر .

كليكيا الغربية ارض وعرة تمتد فيها السهول الخصبة الغرينية فيها ثلاثة انهار رئيسية تصرف مياهها في البحر المتوسط وهي تنبع من جبال طوروس وهي جيهان ، سيهان و تارسوس (طرطوس) .وتم التنقيب في موقع كور-تبا في التلال

الواقعة شمال وشرق كليكيا فاستخرجت بوابتان مزينتان بالنحوت والكتابات الثنائية الهيروغليفية اللويانية وبالأبجدية الفينيقية .

ورد ذكر قوي في النصوص الاشورية والفينيقية ، كما جاء ذكرها في العهد القديم إذ يشير إلى أن تجار النبي سليمان يجلبون الخيول الجيدة من هناك .نشأت مملكة قوي (كليكيا) خلال القرن الثامن عشر قبل الميلاد و عاصمتها ادنة (اتانيا بالحثية).

نقش ازاتواتا يؤكد تعين ملك ثانوي من قبل اواركو ملك ادنة.

٨- كركم

تقع مملكة كركم شمال سمأل وغرب مملكة كومخ حيث تنحصر بين سلسلتي جبال الامانوس وطوروس وعاصمة مملكة كركم هي مرقس مرس الحالية التي تقع تحت هضبة القلعة القديمة من مرس، ولم يتم التنقيب فيها بشكل منظم .

ولا يعرف عن مدينة كركم سوى الاعمدة الحجرية الخاصة بالدفن وكتاباتها اللويانية فضلاً عن مسلتها . اما مسلة مرس فان كتاباتها تعود الى مؤسس السلالة التي تؤرخ الى بداية القرن العاشر قبل الميلاد.

٩- كركميش

كركميش تعرف حالياب جرابلس ، والاسم على الأغلب مكون من كار+ كمش بمعنى رصيف ميناء (الأله) كمش كما ذكرتها التوراه بـ كركموش. ووردت في نصوص إيبلا اشارة الى اله كيموش (او كاموش) . تقع مملكة كركميش شمال سورية وعلى الضفة الغربية لنهر الفرات عند النهاية الشمالية للامتداد الواسع لسهل النهر. وقد احكمت سيطرتها على حوض نهر الفرات والسهول المجاورة من موقع يوسف باشا جنوباً حتى شمال جرابلس فإلى الشمال تقع مملكة كومخ ، اما إلى الشمال الغربي فهناك مملكة سمأل والى الغرب تقع مملكة بيت-اكوسي وربما لم تكن هنالك حدود طبيعية بين هذه الممالك .

وتم التعرف على اكثر من ثلاثين رابية صغيرة في المنطقة تبين نمط لاستيطان لعدد من المدن والقرى الصغيرة . وكانت الأراضي الزراعية في المملكة تتمثل بالاودية والسهول الواقعة على الجهة الغربية لنهر الفرات مع استثناء المناطق الجبلية الواقعة الى الشمال.

وقد احتفظت لنفسها بالهيمنة التجارية في منطقة شمال سورية ويمكن ملاحظة ذلك من الاتاوة الضخمة المدفوعة لملوك اشور خلال عصرهم الحديث. واكتسبت المدينة مكانة بارزة في المجال التجاري بسبب موقعها المتميز عند تقاطع عدد من

الممرات التجارية المهمة مع بعضها في هذه البقعة مما جعل منها مركزا رئيسيا في المنطقة منذ فترة مبكرة سبقت العصر الحثي الحديث بقرون عديدة وادت دوراً مهماً في التجارة العالمية انذاك بين دمشق وتدمر التي ربطت بلاد الرافدين مع سواحل البحر المتوسط ، وبين بلاد اشور وماري ويمخد وبذلك تكون قد احكمت سيطرتها على طرق التجارة النهرية والبرية بين بلاد الرافدين واسيا الصغرى مما جعلها ذات اهمية في التاريخ القديم .

واشتهرت بزراعة الأشجار كالعنب وذلك للظروف المناخية الملائمة والتربة الجيدة فضلاً عن توافر مصادر المياه، واشتهرت بصناعة الخمر وتصديره الى البلدان المجاورة لجودته ففي رسالة ابلاخندا الى حاكم ماري يقول انه يمتلك الخمر الجيد. تم التنقيب في موقع كركميش بحضور وكلاء من المتحف البريطاني وعلى ثلاث مراحل هي:

الاولى :

في الجبهة الجنوبية لرابية الحصن وفيها تم الكشف عن (منحوتات بيت السلالم الكبير وجدار طويل منحوت بحيث أرسلت ست قطع منه الى المتحف البريطاني) ومن جهة الشمال الغربي للحصن المنحدر .

الثانية:

التنقيب في الرابية المحصنة وفيها تم الكشف عن بناء معماري متماسك صغير وبناية محصنة تم تعريفها في البداية بطريقة خاطئة بانها اشورية عرفت بحصن سرجون ، ثم عرفت لاحقا بانها معبد كوبابا اله مدينة كركميش .في المدينة الخارجية تمت صيانة سور المدينة الخارجي والبوابة الترابية .

أما المدينة الداخلية فهي تدل على سور ترابي عال واستظهرت البوابة الغربية والجنوبية وتم الكشف عن معبد اله العواصف والدرج الكبير مع بوابته فضلاً عن اكتشاف حصن خيلاني (ككيانات ذات اروقة ذات اعمدة) والى جانب هذا تم الكشف عن جدار النداء والمدخل الموكبي وبوابة الملك .

وردت كركميش في نصوص الالف الثالث الى الالف الاول قبل الميلاد وهي:

الالف الثالث قبل الميلاد نصوص ايبلا اظهرت بانها تتمتع بموقع مهم وتؤكد معاهدة عقدت بين ايبلا واشور على ان كاروم كركميش كان تحت حكم ملك ايبلا .

الالف الثاني نصوص ماري والالاخ وبوغازكوي واوغاريت .

الالف الاول : وردت المدينة في كتابات ملوك العصر الاشوري الحديث ، وكذلك في نصوص الفترة البابلية الحديثة وقد ذكرت اسم المدينة .

اما السلالة الحاكمة ذات الاجيال الثلاثة لمملكة كركميش فهي استواتمانزاس وسوهس اللتان تعودان الى القرنين ١٠ و ٨ ق.م. وكاتواس التي لابد ان تعود تاريخيا الى ما قبل حكم سنكارا ملك كركميش منذ عام ٨٧٠ ق.م وان هذه السلالة الحاكمة بدأت في النصف الثاني من القرن العاشر قبل الميلاد الا انها تمتد الى فترة مبكرة .

وتؤرخ التماثيل المبكرة في مملكة كركميش لفترة تعود لبداية الالف الاول قبل الميلاد وهما مسلتان تحملان اسماء ثلاثة من كبار ملوك كركميش وعلى الارجح انهم ينحدرون من سلالة الملك كوزي- تيشوب .

اما سلالة كوزي- تيشوب فهي مكونة من ثلاث مراحل :

الاولى : كانت السلطة كلها متمركزة في العاصمة حاتوشا في ظل حكم الملك .

الثانية: كان للملوك نواب وهم ادنى منه مرتبة.

الثالثة: بالنسبة لـــ كركميش النائب فيها سليل مباشر من الملك وهذا النائب بدوره يحكم مراكز المملكة في الاقليم ولكل نائب حكام اداريون تابعون .

وبعد انهيار الامبراطورية الحثية ظلت كركميش القوة الحثية الجديدة الرئيسية .

وهكذا فان كركميش تعد من المواقع المهمة من العصر الحثي الحديث وقد ازدهرت في حوالي (١٢٠٠-٧٠٠ ق.م) وان صفتها الحثية تكمن في حفظها وتطويرها لكثير من الملامح المعروفة لحضارة الامبراطورية الحثية من فن وعمارة ونحت و اسلوب الكتابة التخليدية والمكتوبة بالخط الهيروغليفي من بلاد الاناضول .

ويمكن ارجاع التاريخ الحثي الحديث لـــ كركميش عندما نصب سيبولوما الاول ابنه نائبا للملك مسؤولا عن الاقليم السوري واستمرت سلالته تحكم كركميش الى انهيار الامبراطورية .

وتم اختيار كركميش قاعدة عسكرية ومقراً لحكم الاقليم السوري. وصارت جزءا مهما من الدولة الحثية وتحولت تدريجيا الى مركز للحيثيين الى درجة ان ملوكها لقبوا انفسهم بـــ (ملك البلاد الحثية) واطلق الاشوريون عليها ارض حاتي حتى نهاية الالف الاول قبل الميلاد .

انهى الاشوريون نفوذها السياسي في عام ٧١٧ ق.م بضمها الى الدولة الاشورية بذلك صارت اقليماً تابعاً لامبراطوريتهم حيث تم تعيين حاكم اشوري عليها وبقيت المدينة حتى سقوط الكيان السياسي لبلاد اشور وبعد ذلك جرت فيها المعركة الحاسمة بين الجيشين البابلي والمصري في عام ٦٠٥ ق.م .

١٠- كومخ

تقع مملكة كومخ اعلى مجرى نهر الفرات من مملكة كركميش وربما كانت تشمل السهل الذي حول البلدة الحالية . وان اسم كومخ كان يطلق على الارض ومدينة العاصمة التي اقترنت مع الموقع الكبير والمدينة السفلى المسماة سمسات المغمورة تحت مياه سد اتاتورك وربما تكون من اهم المواقع الاثرية المفقودة لحد الان .

واختلفت الآراء حول تحديد موقعها فقسم يرى بانها تحادد مملكة ملاطية (ميليد) من الشمال وفي الغرب والجنوب الغربي مملكة كركم ومن المحتمل مملكتي سمأل وارباد، ومن الجنوب مملكة كركميش . اما الحفريات الاثرية فلم تتم بسبب انغمار المنطقة بسد اتاتورك .

وجاء ذكرها الاول في الكتابات الاشورية لتوكلتي- ننورتا الاول . وانقطعت اخبارها حتى عهد اشور ناصر بال الثاني سنة ٨٦٦ ق.م وابنه الملك شلمنصر الثالث(٨٥٨-٨٢٤ق.م) واستمر ورودها تباعا وخاصة عندما اصبحت تابعة للاشوريين .

ففي عام ٦٠٧ ق.م. عبرت القوات المصرية المنهزمة من حران الفرات فسيطر البابليون على المدينة وكامل الضفة الغربية بعد سلبها ونهبها ، وفي العام التالي قامت القوات المصرية باعادة سيطرتها على المدينة ومع سقوط مملكة كركميش على يد الملك "نبوخذ نصر الثاني" عام ٦٠٥ ق.م انتقلت كومخ الى البابليين .

١١- ملاطية (ميليد)

تقع مملكة ميليد (ميليدو) شمال مملكة كومخ على طول امتداد نهر الفرات من الحدود مع اورارتو وبموقعها هذا سيطرت على الممرات الجنوبية الشرقية عبر سلسلة جبال طوروس وعبر منطقة تل- كاريمو في طوروس . كما حددت الكتابات الهيروغليفية الموجودة في سهل ملاطية الحدود من الضفة الغربية من نهر الفرات الاعلى واسفل نقطة اتصال قاراصو ومرادصو وتمتد غربا بمحاذاة الطرق المؤدية الى بلاد الاناضول . وتم اكتشاف عاصمتها ارسلان تبة الواقعة على بعد ٧كم شمال شرق ملاطية الحالية . حيث ظهرت عدد من النصب والكتابات

الاثارية التي تشهد بوجود مملكة حثية حديثة ممتدة في سهل ملاطية ومتمركزة حول العاصمة ارسلان تبة .

وتم التنقيب في موقع ارسلان تبة ملاطية (ميليد قديما) وتم الكشف عن بوابة اثرية محاطة باسود منحوتة تعود الى اواخر القرن الثاني عشر واوائل القرن الحادي عشر قبل الميلاد ، كما تم الكشف عن تمثال يمثل احد حكام المدينة واخرجت البعثات التنقيبية مسلة في قره هويوك عام ١٩١١ وختماً يعود لـــ كوزي تشوب ملك كركميش الموصوف بالملك العظيم بطل كركميش .

ويعد موقع موضعاً اخر مكتشفاً في ملاطية ميليد وهو مصدر الكتابات الهيروغليفية المبكرة جدا .وذكرت المصادر والنصوص الاشورية والاورارتية المدينة وتوضح الاختام ومسلة قره هويوك التي وجدت فيها ان ملوك المدينة كانوا خاضعين لـــ ملك كركميش .

وسقطت المدينة بيد الجيش الاشوري عام ٧١٢ق.م الا انها عادت دولة مستقلة مدةً قصيرة حوالي عام ٦٧٥ ق.م .

وقد امتازت هذه الممالك بما يأتي:

١. توظف كل منها اسلوبا حثياً في النحت وفي تفاصيل تقنيات الحفر والزخرفة العمرانية للبوابات واستخدام المساند المحفورة وقطع الحجارة المستخدمة في تزيين و زخرفة الجدران.
٢. لم يتمسك الحثيون باسماء معينة حتى انهم استخدموا اسماء حورية.
٣. استخدام الخط الهيروغليفي الحثي .
٤. استخدمت اللغة اللويانية الا ان بعضها استخدم اللغة الارامية .

تطلع الحيثيين لاستعادة نفوذهم السياسي على بلاد الشام :

منذ السنين الأولى لنشوء الدولة الحيثية في قلب الأناضول اتضح إن سياسة ملوكها كانت تهدف لتوسيع رقعتها الضيقة بضم بقع جديدة إليها ، وبالنظر إلى أن هذا لم يكن من السهل تحقيقه إلا جنوباً باتجاه بلاد الشام ، فمن البديهي أن يعد الحيثيون هذه البلاد مجالا حيويا للتوسع ، وينازعوا أي طرف كان يحاول أن يشاركهم السيطرة عليها ، ولا سيما اجزاءها الشمالية التي تجعل الدولة الحيثية ايضا في حالة السيطرة عليها بمنأى عن أي غزو محتمل قد تتعرض له من جهة الجنوب ، كما يجعلها بمصاف الدول الكبرى في منطقة الشرق الادنى القديم ، ولكن إذا ما حصل العكس ، أو أنهم تخلوا عن بلاد الشام كليا ، فإن ذلك يحدث لظروف قاهرة لا يمكنهم معها إلا الانكماش داخل حدود

بلادهم ، كما حصل بعد مقتل خاتوسيلى الأول ، وقبيل تولي شوبيلوليوما للعرش الحيثي وهذا ما تصادم مع توجهات المملكة المصرية الحديثة الرامية لفرض هيمنتها المطلقة على بلاد الشام كما نوهنا أعلاه

العلاقات السياسية الحيثية خلال عصر الإمبراطورية الآشورية الأولى (٩١١-٧٤٥ق.م)

لا تشير حوليات الملوك أسلاف اشور ناصر بال الثاني إلى وصول نفوذهم إلى نهر الفرات عند بيت-أديني و كركميش إلا انه وسع نفوذه بعد تقوية حصونه في المناطق التي سيطر عليها ليتسنى له الوصول إلى معابر الفرات الغربية .

إشتملت معارك اشور ناصر بال الثاني في الجبهة الغربية على حملات عديدة حسب ما جاء في حولياته فقد تمكن في عام ٨٨٣ ق.م من الوصول إلى ارض كتمخو و اعادة النظام إلى سرو بعد التمرد الذي حصل فيها وقتل حاكمهما خاماتاريا وتنصيب الحاكم الجديد (اخا-يابابا) من بيت-أديني مشيرا إلى هذا الحدث:

((.... اقتربت من ارض كتمخو واستلمت الإتاوة (و) الضريبة من ارض كتمخو (و) موشكو، أواني برونزية ، ثيران، خرفان،(و) نبيذ. عندما كنت في ارض كتمخو جاءت الأخبار أن مدينة سرو والتي تعود إلى بيت-خالوبا قد تمردت وقتلوا حاكمهم خاماتاريا وقاموا بتعيين اخا-يابابا ابن شخص غير معروف جاءوا به من ارض بيت-أديني ونصبوه ملكا عليهم...))

ولذا انطلق إلى مدينة سرو إذ أشار إلى ما يأتي :

((... اقتربت من مدينة سرو العائدة لـــ بيت-خالوبا ، الرهبة والخوف من اشور، مولاي تملكهم. وخرج نبلاء (و) شيوخ المدينة و سلموا أنفسهم لينقذوا حياتهم. أعلنوا خضوعهم لي وقالوا لي" اقتل كما يحلو لك! اصفح كما يحلو لك! افعل ما تريد كما يحلو لك"، قبضت على اخا-يابابا ابن الشخص غير المعروف والذي جاءوا به من ارض بيت-أديني بقلبي الصامد الشجاع وأسلحتي الفتاكة حاصرت المدينة ، أسرت مقاتليهم (و) حملت معي ذهب، وفضة، ومقتنياته وممتلكاته، وبرونز ، وحديد ،وأواني برونزية ،و نساء قصره وبناته أسرى وعرباته الحربية، وخيول، وملابس بألوان زاهية من الكتان، وخشب الأرز ، وثيران، وأغنام بأعداد لا تحصى، عينت ازي-

ايلي - حاكما عليهم و أقمت تمثالي هنالك أمام بوابته... جئت بـــ اخا-يابابا إلى نينوى)) .

واستمرت حملة اشور ناصر بال الثاني عبر نهر الفرات وهي أول حملة آشورية منذ عصر الملك تجلاتبليزر الأول (١١١٥-١٠٧٧ق.م) الذي عبر النهر في مرة واحدة فقط عام ١١٠٠ق.م ، فيكون أشور ناصر بال الثاني أول ملك آشوري يصل سواحل البحر المتوسط بعد جده تجلاتبليزر الأول بحدود ٢٥٠ سنة فقد كان ذلك إنجازاً عظيماً .

وبذلك تكون بيت-أديني قد تم أحكامها اشوريا وفرض السيطرة التامة على معابر الفرات بعد أن أسس ميناء سماه (كار-اشور ناصر بال)، و (معبر اشور) ، واصبحت مملكة بيت-أديني رسميا مقاطعة اشورية في بداية حكم ابيه الملك شلمنصر الثالث(٨٥٨-٨٢٤ ق .م) .

وبعد أن اخذ الإتاوة من اخوني حاكم بيت-أديني عبر نهر الفرات إلى مدينة كركميش واستلم الإتاوة من ملكها سنكارا الحيثي عام ٨٧٠ ق.م قائلا :

((... عبرت الفرات، الذي كان في حالة الفيضان بواسطة العبارات المصنوعة من جلود الماعز (و)اقتربت من ارض كركميش. واستلمت الإتاوة من سنكارا ملك ارض حاتي ...)) .

منذ حكم سنكارا اصبح حكام كركميش يعرفون بملوك حاتي والدليل على ذلك حضور وفد بلاد حاتي في احتفالية افتتاح بناء مدينة النمرود قائلا:

((... من ارض سوخو، ومن ارض لاقي ومدينة سازكو التي تكون في معبر الفرات ومن ارض زامو، من بيت-أديني والحثيين...)) .

وبعد أن تسلم الإتاوة من ملوك ارض حاتي اتجه إلى لوبارنا ملك اونقي ثم اتجه جنوبا إلى كونولوا فاستسلم ملكها ودفع الإتاوة كما كان يفعل أسلافه .

وقد دونت لنا الارشيفات الآشورية هذه الحملة بآلاتي:

((...اقتربت من مدينة كونولوا مدينة لوبارنا الملكية كان خائفا من أسلحتي القوية (و) معركتي الضارية وخضع لي لإنقاذ حياته، واستلمت الهدايا والإتاوة...)) .

لم يتحقق أحكام اشور ناصر بال الثاني على مملكة اونقي إلا بعد أن سيطر على أخر حصونه وهو آريبوا حيث اصبح الطريق مفتوحا إلى جبال لبنان وفرض طوقه الأمني على المدن الفينيقية الساحلية مثل صور وصيدا وقد أشار إلى ذلك بـــ:

((في ذلك الوقت جعلت طريقي إلى منحدرات جبل لبنان في البحر العظيم (و) قدمت الأضاحي لـــ آلهتي . استلمت

الإتاوة من ملوك ساحل البحر، من ارض شعب صور ، صيدا، بيلوبيس، ماخالوتو ، مازيو ، كازو ، امورو، ومدينة ارفاد الموجودة في (جزيرة في البحر) ...)) .

أما بالنسبة للممالك الحيثية الشمالية مثل كركم وميليد و كومخ فهي تقع خلف خطوط اشور ناصر بال الثاني وعلى الرغم من انه اخذ الإتاوة من ملك كومخ قاتازايلي فانه في عام ٨٦٦ق.م سلم الكوموخيون الإتاوة للملك الاشوري والمشتملة على المعادن والحيوانات والأخشاب .

ويورد الملك الآشوري بعض المناطق التي سيطر عليها مثل جبل كوبو وأراضى اشا وخابخو وهذه كلها تقع قبالة ارض حاتي .

وتأكيداً لسيطرته اشور ناصر بال على ضفاف نهر الفرات نقرأ في حوليات الملك الآشوري عن ممارسة رياضة الصيد في تلك البقاع ويورد لنا أعداد الحيوانات التي اصطادها و أنوعها إذ قال :

((في الوقت قتلت ٤٠ ثوراً برياً على الضفة الأخرى من الفرات، مسكت ثمانية ثيران برية. قتلت ٢٠ نعامة. اصطدت ٢٠ نعامة حية ...))

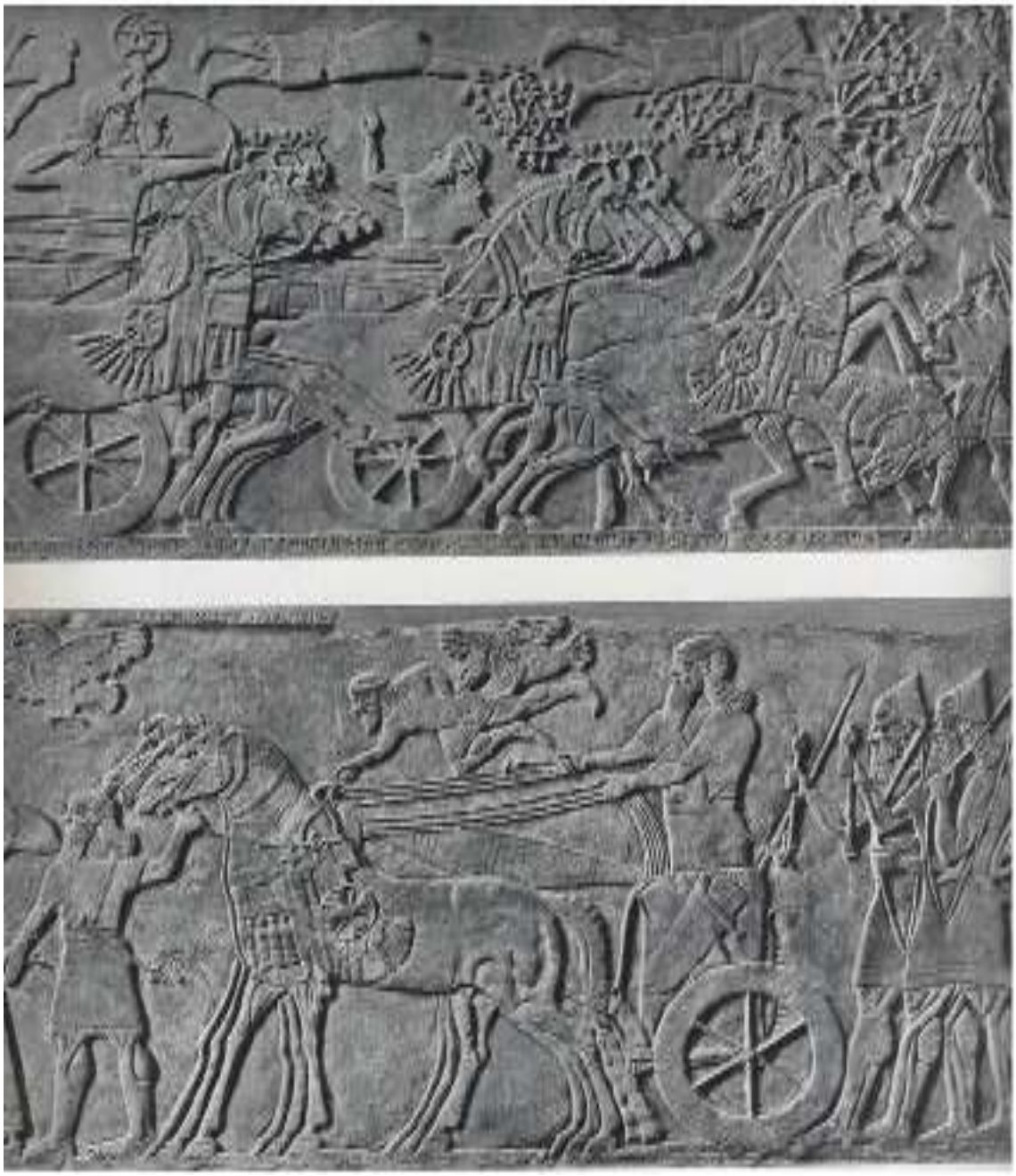

منحوتة تظهر مشاهد من حملات الملك اشور-ناصر-ابلي الثاني

حملات شلمنصر الثالث الغربية (٨٥٨-٨٢٤ق.م)

خلف والده اشور ناصر بال الثاني على العرش الاشوري وحكم قرابة خمسة وثلاثين عاما ما بين عامي ٨٥٨-٨٢٤ق.م . وبدأت العاصفة التي تهدد الممالك الحيثية في سوريا منذ حملة والده (اشور ناصر بال الثاني) الغربية وهيمنتها تلك العاصفة خلال سنوات حكم الملك شلمنصر الثالث، ومن بين حملاته المدونة وجه تسع عشرة منها عبر حوض الفرات في سورية . تزودنا حملات الملك الاشوري بالاطار الزمني العام لحملاته باتجاه الغرب طبقا لـــ مشاهد احداثها واهدافها الواضحة وقد حددت كالاتي:

١. حملات ما بين ٨٥٨-٨٥٥ ق.م. ضد حوض الفرات مرورا بـــ بيت-اديني شمال سورية.
٢. حملات ما بين ٨٥٣-٨٣١ ق.م حملة اولية ضد حماة في جنوب سورية ودمشق وتحالف دمشق.
٣. حملات ما بين ٨٤٠-٨٣١ ق.م. حملة ضد قوي وجبال طوروس .

قام الملك الاشوري شلمنصر الثالث بتنفيذ خطة والده وكان عليه ان يتعامل مع الاراميين لتحقيق غايته الرئيسية وتحطيم الاتحاد الحثي وعلى ثلاث مراحل هي:

المرحلة الاولى

ادرك العاهل الاشوري الخطر الارامي في شمال سورية والمتمثل بـــ مملكة بيت-اديني منذ اعتلائه الحكم لذا فقد كرس ثلاثة اعوام من حكمه لكسر شوكة الممالك الارامية وابعاد خطرها عن بلاده . فقد حدثت

حركة تمرد وعصيان في سورية وفلسطين بقيادة مملكة بيت–اديني التي سبق ان اخضعها والده ولحيوية المملكة بالنسبة لبلاد اشور فقد جهز حملة لابعاد مراكز القوى والعداء الارامي المتمثل بـــ بيت–اديني وضبط سيطرته التامة على الجانب الغربي لحوض الفرات ولغرض تحقيق هذا الهدف كان عليه الاصطدام مع التجمعات المحتملة للممالك الحيثية في سورية من جهة الشمال التي اقامت تحالفاً لدعم بيت–اديني المهددة فاندفع سنة ٨٥٨ ق.م لتشديد الخناق حول اخوني حاكم بيت–اديني فعبر بقوله:

((في العام الاول من حكمي عبرت الفرات اثناء الفيضان (ثم) زحفت نحو البحر الغربي غسلت اسلحتي في البحر (و) قدمت قرابين لالهتي تسلقت سلسلة جبال امانوس (و) قطعت جذوع اشجار الارز (و) العرعر . تسلقت جبل لالار (و) اقمت هناك تمثالي الملكي. دمرت وخربت (و) احرقت مدن الباتنيين، ومدن اخوني حاكم بيت–اديني ومدن الكركميشين (و) بيت–اكوسي الواقعة على الجانب الاخر من الفرات)) .

استلم الملك الاشوري الاتاوة من مملكة كومخ وحاكمها قاتازايلي بين عامي ٨٥٨–٨٥٧ ق.م ولم يظهر للمدينة اي نشاط معادٍ للآشوريين وقد أشار الى ذلك في حولياته متخذا من مدينة بورمارينا منطلقا وعبرت القوات باقارحوبونو احد المعاقل العائدة لحكام بيت–اديني .

واقتدى موتاللو ملك مملكة كركم بنظيره الكوموخي بدفع الاتاوة وهكذا وفر على نفسه شر القتال ويبدو ان حاكمي كومخ وكركم كانت لديهما ميول نحو سياسية الاشوريين في المنطقة .

وبعد ان امن الملك الاشوري حدود دولته من جانب مملكتي كومخ وكركم واستلم الاتاوة من ملكيهما توجه صوب الجنوب من مملكة كركم قاصدا مملكة سمأل الحثية تحت زعامة خابيانو التي كان يدعمها اخوني وسنكارا ملك كركميش وسابالولمي ملك اونقي، الا ان شلمنصر الثالث سحق هذا التحالف واخذ منهم الاتاوة وقد خلد انتصاراته بنصب مسلة هناك جاء فيها:

((بالتحرك من مدينة كركم وصلت مدينة لوتيبو المدينة المحصنة لخابيانوا السمألي وسابالولمي الباتيني واخوني حاكم بيت-ادیني وسنكارا الكركميشي (وضعوا) ثــقتهم فيما بينهم و جهزوا للحرب...))

.

ونزل شلمنصر الثالث صوب مملكة اونقي ليلتقي بالقوات المتحالفة نفسها من الحثيين وانضم كاتي وبيخيريم من خيلاكو والاخرين و يبدو ان التحالف المضاد تعرض لاندحار على يد شلمنصر الثالث وبصورة قاطعة ليعلنوا السلام بعدها تقدم العاهل الاشوري الى مدينة علي شار العاصمة الملكية لسابالولمي الا ان الاخير سارع الى تشكيل حلف مضاد للتقدم الاشوري بالاشتراك مع اخوني من بيت-ادیني، سنكارا من كركميش ، خابيانو من سمأل كاتي من قوي، فضلاً عن حكام الممالك الاخرى الا ان هذا التجمع للممالك الحثية في الشمال السوري لم يوقف المد الاشوري بل حقق هدف الحملة بان استولى على مدينة سابالولمي رئيسة الحلف واجبرها على دفع الاتاوة وقد اشار الى ذلك قائلا:

((... بالتحرك من سلسلة جبال امانوس عبرت نهر اورنتس (ثم) وصلت مدينة علي شار (على موش) المدينة المحصنة لسابالولمي الباتيني من اجل انقاذ حياته طلب المساعدة (انضم) الى قوات اخوني حاكم بيت–ادیني ، سنكارا الكركميشي، خابيانو السمألي ، كاتي (كاتيا) القويي وبيخيرتم الخيلوكي ، ... بامر من الاله اشور (سيدي) فرقت قواتهم المتحشدة حاصرت المدينة واستوليت عليها، اخذت اسلابهم الثمينة...)) .

وبعد ذلك اتجه الى المحطة الثانية وهي مدينة سازابو المحصنة لملك كركميش سنكارا إذ سقطت المدينة بعد محاصرتها ودفعت الاتاوة بعد ان نالت حصتها من التدمير والخراب وقد تفاخر الملك بتعداد الاتاوة التي دفعها لبلاد اشور قالباروندا الباتيني وسنكارا الكركميشي و قاتازايلي الكوموخي وهي ذهب وفضة وبرونز وحديد بكميات كبيرة فضلاً عن الصوف المصبوغ مع ، كما اشتملت الاتاوة على الحيوانات التي تدفع سنوياً الى بلاد اشور .

وفي اثناء عودة الملك منتصراً اخذ الاتاوة من بيت–اكوسي التي كانت غائبة وبشكل ملحوظ عن العمليات القتالية في بواكيرها الاولى، ويبدو ان هذه الحملة قد اثرت وبشكل فعال ومؤثر في مقاومة الحثيين في سورية، وقد اشار الملك الاشوري الى الاتاوة المفروضة على ارامو حاكم بيت ــ اكوسي التي اشتملت على المعادن والحيوانات .

وفي عام ٨٥٧ ق.م ضرب التمرد الموجود في بيت–ادیني بعد ان خربها إذ عبر عن ذلك قائلا:

((في العام الثاني من حكمي انتقلت من نينوى(ثم) وصلت مدينة تل بارسب (بارسيب) دمرت وحطمت (و) احرقت مدن اخوني حاكم بيت-ادیني ثم حاصرته في مدينته عبرت الفرات اثناء الفيضان . في (هذه) الحملة الثانية لي استوليت على مدينة دابيكو دحرتها (و) احرقتها وهي حصن بلاد حاتي فضلاً عن مدن برمتها والمدن المتبقية من جميع بلادها . استلمت اتاوة من جميع الملوك الذين على الجانب الاخر من الفرات (و) اتممت في كل مكان انتصاراتي العظيمة على جميع البلاد)) .

اما بخصوص مملكة اونقي فتخبرنا النصوص الملكية الاشورية العائدة لـــ شلمنصر الثالث بحدوث تغيرات في البلاط الحاكم فانتقل الحكم الى قالباروندا الباتيني الملك الجديد الذي تسلم منصبه في السنة السابقة وما ان اعتلى الحكم حتى اعلن الخضوع التام لسيده الملك الاشوري فسار على نهج سلفه سابالولمي بتقديم الاتاوة التي اشتملت على المعادن بانوعها والملابس الكتانية الملونة وعدد من الحيوانات كانت تسلم كاتاوة سنوية .

ومن قراءة نص حولياته يتبين لنا بان ملك اونقي قد زوج ابنته الى نظيره الاشوري وهي سياسية كانت متبعة في الشرق القديم من قبل حكام الممالك الضعيفة وكان القصد من وراء المصاهرات السياسية المحافظة على ممالكهم من أي اعتداء خارجي وهذا ما اراده ملك انقي بتزوج ابنته ليربط التاج الاونقي بالتاج الاشوري لكي يكون بحمى الامبراطورية الاشورية .

وجاء ذكر الاتاوة الماخوذة من قالباروندا في نص ثانٍ للملك الاشوري هو :

((... استلمت الاتاوة من قالباروندا من بلاد اونقي فضة و ذهباً وقصديراً وبرونزاً واوعية برونزية وانياب فيلة وخشب الابنوس واخشاب الارز وثياباً ملونة وبراقة وكتاناً ،(و) خيولاً مدربة للمعارك الحربية...)) .

وما ان انتهت السنة الثانية لحكم شلمنصر الثالث حتى طوع الممالك الحثية مثل خابيانو ملك سمأل، وارامو حاكم بيت-اكوسي، سنكارا ملك كركميش، واخيراً قالباروندا ملك اونقي، والمملكة الوحيدة التي لم تذكر في موضوع الاتاوة وفروض الطاعة من خلال حوليات الملك الاشوري هي مملكة كركم. وربما لم تؤاتيه الفرصة لذلك...

وبعد ان سيطر الملك الاشوري على المدن الارامية في الغرب السوري اعاد تنظيم ادارتها وغير اسماءها فتل- بارسب اصبحت كار- شلمنصر .

ويذكر شلمنصر الثالث فضلاً عن تل بارسب بعض المدن التي بناها تجلاتبليزر الاول غير ان خليفته الملك اشور-رابي الثاني فقدها لصالح ملك آرام، كما اشار الى تغير اسم تل بارسب الى كار- شلمنصر مع بعض المدن الاخرى وطبق بحق هذه المدن سياسة الترحيل السكاني كما تلقى الاتاوة وفروض الطاعة من ملوك الممالك التي تقع على شاطئ البحر وعلى ضفتي الفرات كما اورد هذه المعلومات في نصه الملكي بقوله:

((في ذلك الوقت، قمت باستعادة مدينة (انا) اشور – اويتر – اصبات التي يسميها سكان بلاد حاتي بيترو التي تقع على نهر ساكورا (قرب الضفة المقابلة) لنهر الفرات ومدينة موتكينو التي تقع على هذه الضفة من الفرات والتي اسسها تجلاتبليزرالاول ، جدي ، الأمير الذي سبقني في زمن أشور رابي الثاني ملك بلاد اشور، ملك الاراميين قد اخذهما بالقوة انا اعدت تلك المدن واسكنت اشوريين فيها وبينما كنت مقيماً في مدينة كار- شلمنصر استلمت اتاوة من ملوك ساحل البحر وملوك ضفاف نهر الفرات ...))

المرحلة الثانية

حملات ما بين ٨٥٣-٨٤١ ق.م حملة اولية ضد مملكة حماة في جنوب سورية ودمشق وتحالف دمشق. ففي سنة ٨٥٣ق.م بدأ شلمنصر يثبت سيطرته على شمال سورية وذلك بتلقيه الاتاوة من الممالك الحيثية في مدينته انا – اشور- اوتر- اصبات .

ومن ضمن الملوك الذين دفعوا الاتاوة عام ٨٥٥ ق.م. سنكارا الكركميشي وكاونداشبوا الكوموخي وارامو حاكم بيت ــ اكوسي ومن لالا الميليدي (الملك الذي كان بعيدا عن المقاومة) ومن خابيانو حاكم بيت-كاباري ومن قالباروندا الكوركمي وكانت هذه الاتاوة متنوعة ومشتملة على انواع المعادن . هنا ياتي ذكر مملكة ميليد (ميليدو) لاول مرة كما ان الملك الاشوري يؤكد سيطرته على منابع الفرات وقد واصل سيره حتى اخضع ميليد على عهد ملكها لالا الذي قدم كل التنازلات حتى يكسب رضا مولاه الاشوري .

((استوليت من البحر الاعلى والاسفل الى بلاد نائيري والبحر العظيم في الغرب حتى جبال الامانوس واتممت سيطرتي على كل بلاد حاتي...)) .

وبذلك فقد سيطر حسب قوله كلياً على الممالك الحثية باستلامه الاتاوة منهم :

((... استلمت الاتاوة من جميع [بلاد] حاتي، من بلاد حاتي غادرت عبرت جبل [...] انزي استلمت الاتاوة من ميليد...)) .

وعلى ارض حلب واجه شلمنصر الثالث لاول مرة تحالفاً قوياً ضم الممالك في الجنوب السوري بقيادة ادد- ادري ملك دمشق وارخلوني ملك حماة مع اثني عشر حاكما .الذين شاركوا الحلف بالدعم المادي والمعنوي مع ذكر كل واحد منهم وما قدمه من جيش وهي(١٢٠٠ عربة مقاتلة من الخيالة مع ٢٠٠٠٠ مقاتل لـــ ادد-ايدري الدمشقي وتدعمه ٧٠٠ عربة ومثلهم من الفرسان و ١٠٠٠ مقاتل قدمهم ارخلوني الحماتي، واما مملكة اسرائيل فقدمت ٢٠٠٠٠عربة مع مقاتليها بقيادة اخاب الاسرائيلي ويسندهم ٥٠٠ مقاتل من قوات بيلبوس فضلاً عن ١٠٠٠جندي مصري وعشرة عربات مع ١٠٠٠٠مقاتل من ارض اركاتو فضلاً عن ٢٠٠ مقاتل من بلاد اوساناتو مع ٣٠ عربة من مقاطعة شيانو ، ١٠٠٠ بعير من جنديو ملك العرب واخيرا ١٠٠ جندي من باعسا حاكم بيت روخوني الاموني ودارت المعركة عند مدينة القرقار وادعى الملك الاشوري انه قتل من معسكر المتحالفين ١٤٠٠٠ مقاتل.

وعلى الرغم من ادعاء الملك الاشوري تحقيق النصر على تجمع ملوك ساحل البحر الا انه لم يتمكن من دخول ممالك قادة التحالف (دمشق وحماة) مما اضطره الى استئناف نشاطاته العسكرية خلال سنوات حكمه العاشرة والحادية عشرة وشن حملة ثالثة ارخت في سنة حكمه الرابعة عشر على التوالي وبواسطة تلك الحملات تمكن من ان يبسط سيطرته على تلك البقاع إذ قال في احدى نصوصه:

((في العام العاشر من حكمي عبرت الفرات للمرة الثامنة دمرت و خربت (و) احرقت مدن سنكارا الكركميشي. بالتحرك من مدن الكركميشي وصلت مدن ارامو (و) استوليت على مدينة ارني مدينته الملكية... في ذلك الوقت هاجمني هادد- ايزري (ادد-ايدري) الدمشقي (و) ارخلوني الحماتي فضلاً عن اثني عشر ملكاً على ساحل البحر لثــقتهم بقواتهم المتحدة ليشنوا حرباً ومعركة. قاتلت ضدهم دمرتهم. استوليت منهم على عرباتهم وسلاح فرسانهم مع عدتهم العسكرية .))

وتخبرنا حوليات شلمنصر الثالث الملكية انه في العام التالي (الحادي عشر من حكمه) قاد حملة بنفس الاتجاه حيث اكمل في سنة ٨٤٨ ق.م عبور نهر الفرات للمرة التاسعة باتجاه سنكارا ملك كركميش والتقى بقادة التحالف الدمشقي والحماتي للمرة الثانية وسيخبرنا النص الاتي بتفاصيل المعركة بين الجانبين:

((... في تلك الفترة هاجمني هادد-ايزري (ادد-ايدري) الدمشقي و ارخلوني الحماتي فضلاً عن اثني عشرملكاً على شواطئ البحر لثــقتهم بقواتهم المتحدة لكي يشنوا حربا معركة. قاتلت ضدهم (و)

دحرتهم اثناء (طريق) عودتي استوليت على اباروز المدينة المحصنة لارامو واستلمت اتاوة من قالباروندا)) .

لم يحسم الملك الاشوري امر التحالف ولا مصير قادته لذا التقى بالدمشقي والحماتي في العام الرابع عشر من حكمه أي سنة (٨٤٥ ق.م) .

وقد ادعى الجانبان الاشوري والارامي انتصار كل منهما على الاخر .الا ان اوضاع معسكر التحالف قد تدهورت بعد مرور اربعة اعوام من اللقاء الاخير بشلمنصر الاشوري ففي الفترة الممتدة من ٨٤٥-٨٤١ ق.م خسر الحلف السوري كلاً من آخاب الاسرائيلي وادد-ايدري الدمشقي الذي اغتيل على يد قائده حزائيل .

واما مملكة حماة فلم تظهر مساندة لمملكة دمشق وانفصلت عن طريق المفاوضات السلمية بعد عداء ومعارضة للاشوريين دامت حوالي تسع سنوات ما بين عامي (٨٥٣-٨٤٥ ق.م) وانصرف ملكها ارخلوني الحماتي الى الاهتمام بالشؤون الداخلية لبلاده . وبعد اربعين سنة تمتعت حماة بمكانة الحليف المفضل لدى الاشوريين اما دمشق المعزولة فواجه حزائيل اجتياحين اشوريين في سنة ٨٤١ ق.م و سنة ٨٣٨ ق.م ففي حملة الملك الاولى لدمشق لم يتمكن ملك اشور من احتلال المدينة فعوض ذلك بان دمر مزارعها .

لم يتمكن شلمنصر الثالث من احتلال دمشق المتمردة مما اضطره الى قيام بحملة عسكرية عام ٨٣٨ ق.م ادعى فيها انه سيطر على مدن

حزائيل الدمشقي وتلقى الاتاوة من اقاليم البحر المتوسط فقد اكد في حولياته ما نصه:

((في السنة الحادية والعشرين من حكمي عبرت نهر الفرات للمرة الحادية والعشرين (و) وصلت الى مدن حزائيل الدمشقي. استوليت على اربع مدن (و) تلقيت الاتاوة من اراضي صور ، صيدا وبيلبوس)) .

المرحلة الثالثة

حملات ما بين ٨٤٠-٨٣١ ق.م ضد قوي وجبال طوروس

تمكن شلمنصر الثالث من عبور جبال الامانوس مرتين الاولى في عام ٨٤٢ ق.م والثانية عام ٨٤٠ ق.م وبذلك وصل الى مشارف مملكة قوي الحثية التي سبق ان كانت مع خيلاكو نداً له قبل اكثر من ١٦ سنة، وقد اورد ذكرى عبوره الاول والموافق لسنة حكمه السابعة عشر في حولياته الملكية وقد دون فيه جلب اشجار الارز الى بلاده .

اما عبوره الثاني في عام ٨٤٠ ق.م فقد قال عنه :

((في العام التاسع عشر من حكمي عبرت الفرات للمرة السابعة عشرة (ثم) استلمت اتاوة من ملوك بلاد حاتي...)) .

كرس الملك الاشوري شلمنصر الثالث الفترة الاخيرة من حكمه للسيطرة على الممالك الحثية في طوروس ليتحكم في مناجم الفضة وغابات الامانوس ووصولاً الى وسط بلاد الاناضول .

فبدأ بـــ قوي عام ٨٣٩ ق.م التي كانت تحت حكم نده القديم كاتي فسيطر على عدد من مدنها وهي اشارة واضحة على انه فرض هيمنته على مملكة قوي باكملها .

وبصدد سيطرة ملك اشور على مقاطعة قوي نقرأ:

((في العام العشرين من حكمي عبرت الفرات للمرة العشرين (ثم) نزلت الى بلاد قوي (قاو). استوليت على مدنهم...)) .

تحرك الجيش الاشوري قاصدا اقليم تابال لاول مرة ففي عام ٨٣٧ ق.م عبر نهر الفرات واستلم الاتاوة من مملكة ميليد ووصل بعد اجتياز جبل تيمور ثم ليصل الى مدن الملك تواتي ملك تابال الذي تذمر منه وفر الى مدينته الملكية ومقر حكمه ارتولو مع ابنه كيكي.

وفي مكان اخر يشير شلمنصر الثالث الى تفاصيل سيطرته على مملكة تابال وهنا يشير الى استسلام اربعة وعشرين ملكاً وقد وصل الى جبال توني ومولو التي هي مصادر الفضة وحجر الرخام وهي جزء من جبال طوروس:

((في العام **الثاني والعشرين من حكمي عبر الفرات للمرة الثانية والعشرين (ثم) نزلت الى بلاد تابال. في تلك الفترة كنت اتلقى هدايا من اربعة وعشرين ملكا من تابال. زحفت نحو جبل توني جبل الفضة، (ثم) جبل مولو جبل الرخام))** .

لقد انتهى الاشوريون من بلاد تابال ثم حسم امر مملكة قوي بالاستيلاء على العاصمة بعد ذلك توجه الى لالا الميليدي ففي العام التالي

وردت قصة اعطاء ملوك تابال الهدايا لسيدهم الاشوري وقد ثبت هذا الحدث في حوليات سنة حكمه الثالثة والعشرين .

تشير حوليات الملك الآشوري الى انه هاجم مملكة قوي بحملتين عسكريتين بين عامي ٨٣٤ ق.م و ٨٣٣ ق.م على التوالي ففي الأولى يقول :

((في العام الخامس والعشرين من حكمي عبرت الفرات اثناء فيضانه (ثم) استلمت اتاوة من جميع ملوك بلاد حاتي. عبرت سلسلة جبال امانوس ثم نزلت الى مدن كاتي القوياني حاصرت (ثم) استوليت على تيمور، مدينته المحصنة لقد اثخنت قتلا في (سكانها) ونهبتها، (و) دمرت وخربت، (و) أحرقت مدنا لا تحصى بعد عودتي اتخذت سورو المدينة المحصنة لارامو حاكم بيت-اكوسي، اتخذت معقلا لي. اعدت بناء مداخلها و اسست هنالك قصرا لاقامتي الملكية)) .

اما الحملة الثانية لعام ٨٣٣ ق.م فقد ذكر الملك الاشوري عبوره سلسلة جبال الامانوس للمرة السابعة وزحفه على مدن كاتي القوياني للمرة الرابعة على التوالي فقد طوق مدينة تاناكون مع حاكمها تولو وارغمه على دفع الاتاوة المؤلفة من انواع المعادن مع الحيوانات وواصل زحفه حتى تارسوس (طرطوس الحالية) كما هو مدون في حوليات سنة حكمه السادسة والعشرين . بعد ذلك تزوج شلمنصر من ابنة كاتي .

ومن المحتمل ان حملة ٨٣٣ ق.م كانت الاخيرة التي قادها شلمنصر بنفسه وذلك لان حولياته ما بين (٨٣٢-٨٢٨ ق.م) تؤكد ان ديان-اشور التورتان .اصبح قائد الحملات العسكرية الاشورية ومنها

حملة واحدة باتجاه سورية عام ٨٣١ ق.م تزامنت مع مقتل لوبارنا على يد سوري الا انه قمع التمرد ثم عين ساسي خلفاً للملك المخلوع لوبارنا ويوحي هذا الفعل بان بلاد اشور لا تزال في موضع (منزلة) تعطيها حق التدخل في الشؤون الداخلية للممالك الحثية الحديثة في شمال سورية وان الملك الاشوري قد اخذ ثار الملك المقتول (لوبارنا) لانه كان حليفاً وتابعاً للاشوريين وقتل القاتل (سوري) ونصب محله ساسي الموالي للاشوريين حسب ما جاء في حوليات سنة حكمه الثامنة والعشرين. وخلد شلمنصر الثالث حملاته العسكرية على بوابة بلوات البرونزية وهي عبارة عن احزمة معدنية مثبتة على الواح خشبية ومزخرفة بواسطة الطرق . والمسلة السوداء التي يظهر في الصف الخامس منها بعض الرجال من بلاد حاتي ومن ضمنهم حاكم مملكة اونقي وهم يقدمون الولاء لشلمنصر الثالث كما خلد اعماله الحربية على مسلة ثانية عرفت بين المؤرخين باسم المسلة الكرخية وقد تم العثور عليها عند نهر الكرخ قرب ديار بكر في الاراضي التركية عام ١٨٦١ .

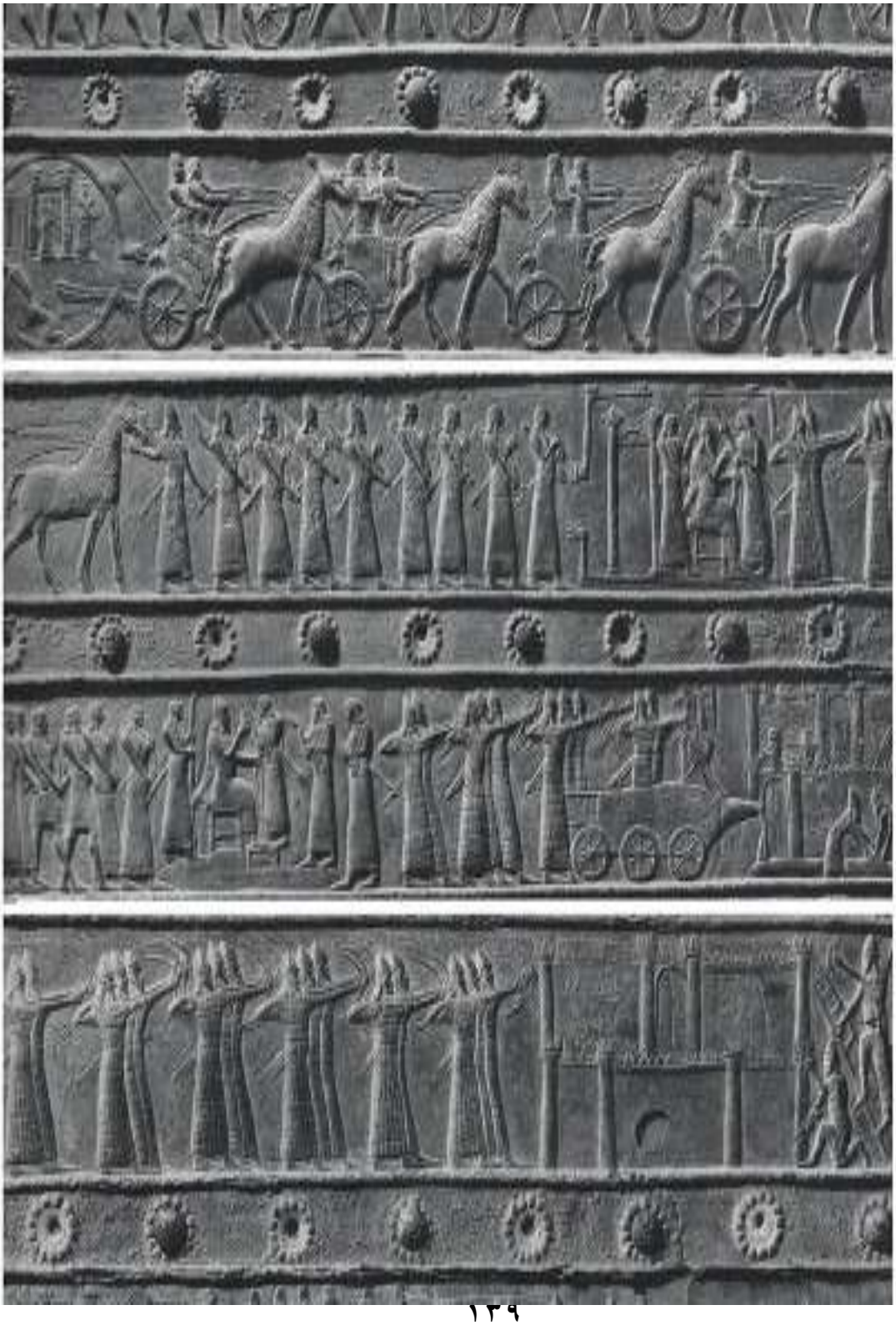

حملات الملك شلمنصر على سوريا من باب بلاوات

منحوتة تصور مبعوثين محملين بالاتاوات المقدمة للملك شلمنصر الثالث، نقلا عن

علاقات خلفاء شلمنصر الثالث (٨٢٣-٧٤٦ ق.م) مع سوريا والاناضول

- شمشي ادد الخامس(٨٢٣-٨١١ق.م)

لقد بعثت الاضطرابات التي حصلت في نهاية حكم شلمنصر الثالث في اشور الارتياح في نفوس الممالك الحثية في سورية التي كانت ترضخ تحت الضغوط الاشورية المستمرة فقد اشتعلت ثورة داخلية في بلاد اشور واعلن التمرد احد ابناء الملك المدعو اشور داإن-ابلي تساعده المدن الناقمة على حكم شلمنصر ، تولى شمش-ادد الخامس ابن شلمنصر الثالث من بعده مهمة اخماد الثورة ولقد دون الملك الاحداث للسنوات الاولى والصراعات التي خاضها لقمع الثورة . واستنزفت هذه الحرب قوى الدولة في الداخل فقد ارهقتها من الخارج وافقدتها الكثير من الاقاليم التي كانت تابعة لها .

سعى شمشي ادد الخامس الى انقاذ ما تبقى من بلاده بان وجه الحملات عسكرية في سنة حكمه الاولى الى الجهات الشمالية والشمالية الشرقية لتقليل الضغط المتزايد بعد ان اصبحت اورارتو تشكل خطراً حقيقياً على الدولة الاشورية . وتمكن شمشي ادد الخامس في بداية حكمه من كسب تأييد زعماء بلاد نائيري التي كانت تؤلف حاجز جنوب غربي بحيرة وان بعد اتحاد اقوام في شرقي الاناضول تكونت مملكة اورارتو القوية التي تمركزت حول البحيرة وامتدت بقوتها غربا عبر الاناضول الى الشمال من سورية لتنافس بلاد اشور على الطرق التجارية والمناطق الرئيسية لانتاج المعادن وتربية الحيوانات .

وازاء هذا الموقف المتدهور في بلاد اشور فان المصادر الاشورية لا تشير الى وجود اية علاقة ما بين ملك اشور من جهة وممالك الغرب من جهة ثانية، كما لا تخبرنا عن اية محاولة لعبور نهر الفرات وذلك لانشغال الملك بالاضطرابات الداخلية لذا فان حولياته لا تزودنا الا بتمكنه من إحكام سيطرته على معبر ورصيف شلمنصر (كار-شلمنصر) تل بارسب واعتبارها الحد الغربي لاشور حيث جاءت في احدى حولياته بان الحدود الجغرافية لاشور تمتد من مدينة باديرا بارض نائيري حتى حدود مدينة كار-شلمنصر،ومن مدينة زادي على حدود بلاد اكد حتى بلاد اينزي ومن مدينة اريدو حتى بلاد سوخي فقد ادعى بان هذه المنطقة باسرها اصبحت اقاليم اشورية كما هو مبين في احدى نصوصه .

- ادد-نيراري الثالث (٨١٠-٧٨٣ق.م)

بوفاة الملك شمشي-ادد الخامس اعتلى العرش ابنه ادد-نيراري الثالث وقد زاد صغر سنه في حراجة الموقف الاشوري على الصعيدين الداخلي والخارجي وصارت امه سمو-رامات وصية على عرش ولدها وحكمت بالنيابة عنه طوال خمس سنوات .

لقد اثبت الملك ادد-نيراري الثالث امكانياته في ان يؤدي دوراً فعالاً ومؤثراً في بلاد سورية فعندما تسلم الحكم اهتم بفرض سلطة الامبراطورية الاشورية من جديد على كل الممالك السورية التي كانت قد شقت عصا الطاعة على بلاد اشور وقد وجه سلاحه واعلن عن الحملات العسكرية الى جهة الغرب ما بين ٨٠٥-٧٩٦ ق.م كما جاء ذلك في مسلة سبأ قائلا:

((في العام الخامس اعتليت بنبالة العرش الملكي ، جمعت الشعب ثم امرت القوات الكبيرة في بلاد اشور بالزحف نحو بلاد حاتي. عبرت الفرات اثناء فيضانه. ملوك [بلاد حاتي] الواسعة، الذين كانوا قد اصبحوا في عهد شمشي-ادد (الخامس)،والدي اقوياء واحتفظوا لانفسهم باتاوتهم بامر من اشور ومردوخ وادد وعشتار، الالهة التي ساندتني غمرتهم بتألقي المرعب ثم استسلموا لي. لقد جلبوا اتاوة(و) ضريبة [...] الى بلاد اشور (ثم) استلمتها . امرت [قطعاتي بالتقدم نحو دمشق]. [حاصرت] مرعي في دمشق [... جلب لي] ١٠٠ طالنت من الذهب (و) ١٠٠٠ طالنت من الفضة اتاوة. [استلمتها واخذتها الى اشور)) .

ومن الواضح ان القوات الاشورية قضت الجزء الاكبر من الاعوام الثلاثة في شمالي سورية .

كان ادد-نيراري الثالث نشيطا فيما يتعلق بالحياة السياسية لشمال سورية كما اثبتت صحة ذلك مسلاته المتنوعة لرسم الحدود بين الممالك الحثية مثل كركم وكومخ وكذلك بين حماة وارباد .ان حملات الملك ادد-نيراري الثالث الغربية وقعت في مرحلتين حسب ماورد في حولياته.

المرحلة الاولى من ٨٠٥-٨٠٤ ق.م

وجه الاشوريون جهودهم ضد المتمردين من ملوك الحثيين في شمال سورية الذين وصفهم بـــ ((ثمانية ملوك)) بقيادة اتار شومكي ابن ادرامو ملك ارباد وقد كان تجمعهم في مدينة باقاراخويونو وبين لنا بانه

استولى على معسكرهم ويؤكد انه في نفس العام ثبت الحدود ما بين الكوموخيين والكركميين فقد عبر عن ذلك بالنص الاتي :

((عندما حمل اوشيبلولومي ، ملك الكوموخيين ادد–نيراري ملك اشور،(و) سميراميس سيدة القصر، على عبور الفرات، خضت معركة ضارية ضدهم، ضد اتارشومكي ابن ادرامو ملك ارباد فضلاً عن ثمانية ملوك كانوا معه في مدينة باقاراخوبونو. استوليت منهم على معسكرهم. لكي ينجوا بارواحهم تفرقوا. في العام (نفسه) اقاموا هذا الحد الحجري بين اوشيبلولومي ملك الكوموخيين وقالبارودا ابن بالالام ملك الكركميين)) .

وهناك نص اخر يؤكد سيطرته على ملك ارباد :

(([بأمر من اشور] حشدت معسكري (ثم) [امرت بالزحف] نحو بلاد حاتي. عبرت الفرات اثناء فيضانه (ثم) نزلت [الى ....] بونا . اتارشومكي، [ابن ادارمو(...) فضلا عن] ملوك بلاد حاتي الذين تمردوا و [احتفظوا بالاتاوة (...)] ... خلال عام واحد اخضعت بلاد حاتي برمتها ...)) .

خلد انتصاراته على مسلة تم العثور عليها في منطقة قريبة من الخابور عام ١٨٧٩ م من خلال اعمال التنقيب التي جرت في المنطقة برئاسة هرمز رسام ، اما المسلة فقد عثر عليها في تل شيخ حمد .

المرحلة الثانية في عام ٧٩٦ ق.م

واعقب ذلك هجوم الاشوريين الناجح على مملكة مرعي في دمشق والزحف الى سواحل البحر المتوسط في اثناء حملة عام ٧٩٦ ق.م بعد ان اخضع بلاد حاتي الذين تمردوا عليه ورفضوا دفع الاتاوة لوالده استسلموا له ودفعوا اتاوتهم كما هو مبين في النص الاتي :

((... امرت [قطعاتي بالتقدم نحو دمشق]. [حاصرت] مرعي في دمشق [... جلب لي] ١٠٠ طالنت من الذهب (و) ١٠٠٠ طالنت من الفضة اتاوة [استلمتها واخذتها الى اشور])) .

وهناك نص يبين الزحف الاشوري نحو الارض الحثية وبالتالي فرض السيطرة على شعوبها وارغامهم على دفع الاتاوة كما اشار الملك الاشوري الى اخذ الاتاوة من ملك مملكة في دمشق من ملك السامرة ومن شعوب البحر المتوسط واهالي صور وصيدا .

((...اخضعت (الاقليم الممتد) من ضفة الفرات ، بلاد حاتي ، بلاد امورو ، صور ، صيدا ، ساماريا (خومري) ادمون ، (و) بالاستو ، حتى البحر العظيم في الغرب، فرضت ضريبة (و) اتاوة عليها)) .

وقد قام الملك ادد–نيراري مع شمشي ايلو التورتان بتثبيت الحدود بين حماة و ارباد وقد دونت الاحداث على مسلة عثر عليها في وادي نهر الاورنتس بين انطاكية والبحر ضمن حدود مملكة اونقي ، اما خلفية المسلة التاريخية فانها تروي احداث عام ٧٩٦ ق.م الحملة الغربية

الاخيرة لادد–نيراري وتبين هذه المسلة تخلي حماة عن احدى مدنها الى مملكة ارباد .

((ان الحد الذي اقامه ادد–نيراري، ملك اشور، وشمشي–ايلو التورتان بين زاكور ملك حماة واتارشومكي ابن ادرامو مدينة ناخلاسي مع جميع حقولها وحدائقها، ومساكنها تكون ملك اتارشومكي لقد قسما نهر اورنتس بينهما. هذا هو الحد)) .

وفي نص اخر يؤكد اعطاء المدينة ملكاً لـــ اتارشومكي ولعائلته في المستقبل فقد قال:

((سلمها ادد–نيراري، ملك اشور، وشمشي–ايلو التورتان، محرره وكامله الى اتارشومكي ابن ادرامو، (ثم) الى ابنه ،(ثم) الى احفاده اللاحقين...)) .

علاقة التورتان شمشي–ايلو مع الممالك الحثية في شمال سورية

قبل بروز الامبراطورية الاشورية الثانية قوةً عالمية ما بين عامي (٧٤٥–٦١٢ ق.م) نلاحظ وجود فترة ركود التوسع الاشوري ويمكن ان نحددها في النصف الاول من القرن الثامن قبل الميلاد وقد عرفت هذه العقود الزمنية باسم التورتان شمشي–ايلو، اكثر مما كانت باسم الملوك الضعفاء الثلاثة الذين خلفوا والدهم الملك ادد–نيراري الثالث وهم كل من شلمنصر الرابع (٧٨٢–٧٧٢ ق.م) اشوردان الثالث (٧٧١–٧٥٤ ق.م) واشور–نيراري الخامس (٧٥٣–٧٤٦ ق.م) الذين خدمهم في اثناء حياته الطويلة . والقوة الاشورية الرئيسية في الغرب كانت لقائد الجيش شمشي–

ايلو في مدينته تل بارسب (كار شلمنصر) بدليل ما تم الكشف عنه في مدينته تل بارسب من أثار لأسدين مدون عليهما أسمه من دون ذكر أسم الملك الاشوري .

ويبدو ان التورتان قد حدد الحدود لمملكة كومخ بعد ان رجع منتصرا من حملته السابقة على بلاد دمشق وقد جاء النص الاشوري التالي: ((**في اثناء عودتي (من دمشق) منحت هذا الحد لاوشبيلولومي ملك الكوموخيين**)) .

اشور- نيراري الخامس(٧٥٣-٧٤٦ ق.م)

اما بالنسبة لاشور-نيراري الخامس فقد قام بحملة عسكرية ضد مملكة ارباد شمال سورية لاستعادة طرق التجارة الاشورية في الغرب ويبدو ان الملك الاشوري لم يحقق طموحاته في السيطرة على ارباد وعاصمتها دولة بيت اكوسي الا انه اجبر ماتع-ايلو ملك ارباد على قبول السلم وفرض معاهدة عليه .

وكانت اهم بنود المعاهدة اعلان ماتع-ايلو ملك ارباد الاخلاص والولاء التام لبلاد اشور كما يتوجب على مملكة ارباد وملكها الاشتراك بحملات اشور نيراري الخامس العسكرية ضد اعدائه . الا ان الاربادي تجاهل اللعنات المثبتة في المعاهدة اذا حاول ان يخرقها وقد نقض اتفاقه فعلا مع ملك اشور بعد ان دخل بمعاهدة مع ساردوريالثاني الاورارتي (٧٥٣-٧٣٥ق.م) ضد الملك اشور-نيراري الخامس وعن طريق ارباد انتشر النفوذ السياسي الاورارتي بين الممالك في الشمال السوري .

كان من نتائج ضغط بلاد اورارتو في الغرب انتقال مركز السيطرة الاشورية الرئيس في سورية الى الجنوب وقد استمر تقدم الاورارتيين على طول الحدود الاشورية الشمالية خلال السنوات التي اعقبت حكم الملك ادد-نيراري الثالث، ولضعف الملوك الذين جاءوا من بعده فقد قاست بلاد اشور من هذا التقدم ونجحت بلاد اورارتو من الهيمنة على طرق التجارة القادمة من شمال ايران ، ووصل الوضع الى حالة التأزم في الغرب عندما اكتسح الاوراتيون المنطقة واخذوا جميع المنطقة شمال وغرب كركميش من الاشوريين وبذلك تكون بلاد اشور قد سلبت سيطرتها على تجارة المعادن في اسيا الصغرى وقد اثر هذا التوسع في بلاد اشور اقتصاديا لان جميع المناطق التي تعتمد عليها اشور في جلب الخيل اصبحت في ايدي الاورارتيين من جانب وقطع الطرق التجارية الى اسيا الصغرى من جانب ثانٍ.

وفي عام ٧٤٦ق.م تفاقمت الاوضاع في بلاد اشور واشتعلت ثورة في العاصمة كالخ أدت الى اغتيال الملك اشور-نيراري الخامس وهو اخر الملوك الثلاثة الذين اعقبوا الملك ادد-نيراري الثالث ، وقد تولى العرش بعده تجلاتبليزر الثالث (٧٤٥-٧٢٧ق.م) الذي يعد اقدر ملك في بلاد اشور لمدة تزيد عن القرن من الزمان .

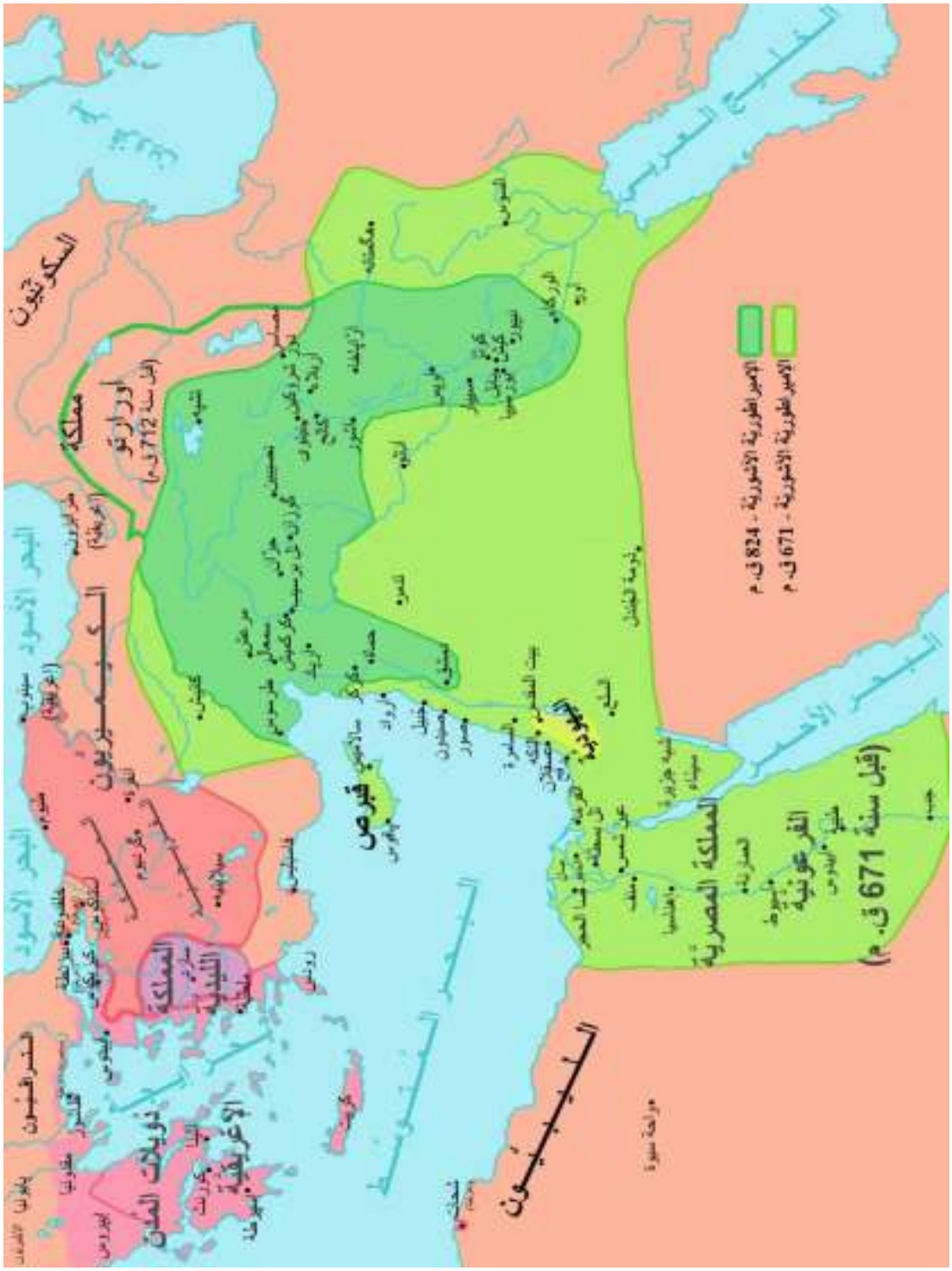
الإمبراطورية الآشورية - 824 ق.م
الإمبراطورية الآشورية - 671 ق.م
(قبل سنة 671 ق.م)
المملكة المصرية
الفرعونية
السكوثيون
البحر الأسود
البحر الأبيض
الكيمريون
فريجيا
المملكة الليدية
نوبيات الملك الإغريقية
الميديون
الفرس
الليبيون

جدول التعاصري للملوك الآشوريين والحثيين

ملوك اشور	الممالك الحيثية
اشور ناصر بال الثاني (٨٨٣-٨٥٩ ق.م)	
٨٨٣ ق.م	اخاياابا من بيت اديني
٨٧٠ ق.م	اخوني حاكم بيت اديني
	سنكارا ملك كركميش
	لوبارنا ملك اونقي
٨٦٦ ق.م	قاتازايلي ملك كومخ
شلمنصر الثالث (٨٥٨-٨٢٤ ق.م)	
٨٥٨ ق.م	سابالولمي ملك اونقي
	اخوني حاكم بيت اديني
	سنكارا ملك كركميش
	خابيانو ملك سمأل
	كاتي ملك قوي
	قاتازايلي ملك كومخ
	موتاللو ملك كركم
	ارامو حاكم بيت-اكوسي
٨٥٧ ق.م	اخوني حاكم بيت اديني
	قالباروندا (الباتيني) ملك اونقي
	خابيانو ملك سمأل
	ارامو حاكم بيت-اكوسي
	سنكارا ملك كركميش
٨٥٥ ق.م	سنكارا ملك كركميش
	كوشتاشبي ملك كومخ
	ارامو حاكم بيت-اكوسي
	لالا ملك ميليد
	قالباروانذ ملك كركم
٨٥٣ ق.م	ارخلوني ملك حماة مع اثني عشر حاكم وحدثت معركة القرقار قرب نهر العاصي لاول مرة

٨٤٩ ق.م	سنكارا ملك كركميش
	ارامو حاكم بيت اكوسي
	ارخلوني ملك حماة وحدثت معركة ثانية ضد التجمع لملوك ساحل البحر
٨٤٨ ق.م	سنكارا ملك كركميش
	ارخلوني ملك حماة وحدثت معركة ثالثة ضد التجمع لملوك ساحل البحر
٨٤٥ ق.م	ارخلوني ملك حماة وحدثت معركة ثالثة ضد التجمع لملوك ساحل البحر
٨٣٩ ق.م	كاتي ملك قوي
٨٣٧ ق.م	تواتي ملك تابال مع ابنه كيكي
٨٣٦ ق.م	كاتي ملك قوي
	لالا ملك ميليد
٨٣٤ ق.م	كاتي ملك قوي
	ارامو حاكم بيت اكوسي
٨٣٣ ق.م	كاتي ملك قوي
٨٣١ ق.م	لوارنا سوري ساسي
شمشي ادد الخامس (٨٢٣-٨١١ ق.م)	
٨٢٣-٨١١ ق.م	لا تشير النصوص الملكية الى وجود علاقات مع الممالك الحيثية في شمال سورية
ادد-نيراري الثالث (٨١٠-٧٨٣ ق.م)	
٨٠٥ ق.م	اتارشومكي ابن ادرامو ملك ارباد اوشيبلولومي ملك كومخ
	قالباروندا ابن بالالام ملك كركم

٧٩٦ ق.م	زاكور ملك حماة
	اتارشومكي ابن ادرامو ملك ارباد
٧٨٢-٧٤٦ ق.م	
اشور نيراري الخامس (٧٥٣-٧٤٦ ق.م)	
٧٥٣ ق.م	ماتع ايلو ملك ارباد
تجلاتبليزر الثالث (٧٤٥-٧٢٧ ق.م)	
٧٤٣ ق.م	كوشتاشبي ملك كومخ
	اورك ملك قوي
	بسيرس ملك كركميش
	إني-إيل ملك حماة
	بانامو ملك سمأل
	تارخولارا ملك كركم
	سولومال ملك ميليد
	وارسورمي ملك تابال
	ماتع إيلو ملك ارباد
٧٣٨ ق.م	توتامو ملك اونقي
	بانامو ملك سمأل
٧٣٢ ق.م	كوشتاشبي ملك كومخ
	اورك ملك قوي
	بسيرس ملك كركميش
	اني-ايل ملك حماة
	بانامو ملك سمال
	تارخولارا ملك كركم
	سولومال ملك ميليد
	وارسورمي ملك تابال
٧٣٠ ق.م	خوللي ملك تابال
شلمنصر الخامس (٧٢٦-٧٢٢ ق.م)	لم تذكر النصوص الملكية علاقات مع الممالك الحيثية في شمال سورية
سرجون الثاني (٧٢١-٧٠٥ ق.م)	

٧٢٠ ق.م	ايا-بئدي ملك حماة
	خوللي ملك تابال
	امبارس ملك تابال
٧١٧ ق.م	بسيرس ملك كركميش
٧١٢ ق.م	تارخونازي ملك ميليد
	موتاللو ملك كومخ
٧١٣ ق.م	تارخولارا ملك كوكم
	اورك ملك قوي
٨٠٧ ق.م	موتاللو ملك كومخ
سنحاريب (٧٠٤-٦٨١ ق.م)	
٦٩٦ ق.م	كيروا حكم اقليم البيرو
اسرحدون (٦٨٠-٦٦٩ ق.م)	
٦٧٥ ق.م	موكالو ملك ميليد
اشور بانيبال (٦٦٨-٦٢٧ ق.م)	
٦٦٨ ق.م	موكالو ملك ميليد

مراجع:

- **أباذر راهي سعدون:** نصوص مسمارية غير منشورة في المتحف العراقي من عصر سلالة أور الثالثة (٢١١٢ - ٢١١٤ ق.م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب، جامعة بغداد ، ٢٠١٠.
- **أثير أحمد حسين:** عمارة القصور في بلاد الرافدين إلى نهاية العصر البابلي القديم ، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب – جامعة بغداد، ٢٠٠٩.
- **أحلام سعد الله صالح الطالبي:** نظام التقاضى فى العراق القديم دراسة مقارنة مع بقية بلدان الشرق الأدنى ، رسالة دكتوراه غير منشوره ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ١٩٩٩.
- **أحمد أمين سليم:** إيران مُنذ أقدم العصور حتى أواسط الألف الثالث قبل الميلاد، دار النهضة العربية ، بيروت، ١٩٨٨.
- **أحمد زيدان الحديدي:** "مدونة شوبات – انليل في سجلات ماري الملكية"، آداب الرافدون ، عدد ٥٨، ٤٢٢،٢٠١٠-٤٣٩.
- **أحمد عبد الرحمن عابدين:** المعاهدات الدولية دراسة فى تاريخ العراق القديم فى الألفين الثالث والثانى قبل الميلاد، رسالة دكتوراه غير منشوره ، المعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى القديم ، جامعة الزقازيق ، ٢٠٠٦.
- **أحمد مالك الفتيان:** "دراسات فى التنظيمات السياسية و الإدارية فى العصور المبكرة" ، المجمع العلمى العراقى، العدد ٩ ، ١٤٢١هـ، ٥٧-٦٧.
- **أحمد مجيد حميد الجبوري:** "التبني فى العصر البابلى القديم": دراسة موجزة فى ضوء النصوص المسمارية ، مجلة سومر ، مج ٥٣، ٢٠٠٥-٢٠٠٦، ص١٤٣- ١٥٦.

- _____: "قروض بابلية قديمة من مدينة الدير"، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل ، عدد ٢١ ، ٢٠١٤، ص ٥٥٥- ٥٧٣.
- **تغريد شعبان:** ممالك سوريا القديمة ، مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ،٢٠١٣.
- **بشار خليف**: مملكة ماري وفق أحدث الكشوفات الأثرية ، دار الرلئى للنشر والتوزيع ، دمشق، ٢٠٠٥.
- **باسم محمد حبيب :** منظومة الحقوق والواجبات في العراق القديم ، مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية ، بابل، ٢٠١٢.
- **تقى الدباغ:** الفكر الدينى فى آسيا الصغرى فى عهد الحيثيين ، مجلة كلية الآداب -جامعة بغداد ،١٩٧٩.
- _____: "البيئة الطبيعية والإنسان" ، موسوعة حضارة العراق، ج١، بغداد ، ١٩٨٥، ص١٣-٥٦.
- **توفيق سليمان:** دراسات فى حضارات غرب أسيا القديمة :من أقدم العصور إلى عام ١١٩٠ق.م ، دار دمشق ، ١٩٨٥.
- **ثروت عكاشة:** الفن العراقى القديم :سومر بابل أكد ، ج٤، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، بدون تاريخ.
- **جاسم شعلان الغزالي:** "اثر المتغيرات الجغرافية والتاريخية في نشأة وتوزيع مراكز الاستيطان في اقليم بابل"، مجلة العلوم الإنسانية ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ،العدد١٦، ٢٠١٣
- **جاسم شهد وهد:** "الزراعة خلال العصر البابلي القديم (٢٠٠٤-١٥٥٥ق.م)" ، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية ، المجلد الحادي عشر، العدد٣، ٢٠٠٨، ص٣١-٥٤.
- **جمال رشيد أحمد:** كركوك فى العصور القديمة ، دار ئاراس للطباعة والنشر ، أربيل، ٢٠٠٢.
- **حسن محمد محى الدين:** فى تاريخ الشرق الأدنى القديم :العراق – إيران- أسيا الصغرى، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٥.

- **حسين أحمد سلمان:** "نظرة عامة فى مخازن العراق القديم" ، سومر ، مج ٤٥، ج١، ١٩٨٧ - ١٩٨٨، ٣٠٨-٣١٦.
- **حسين سيد نور جلال الاعرجي:** الخطاب السياسي في العراق القديم ٣٠٠٠-٥٣٩ ق.م ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية الاداب - جامعة واسط ، ٢٠٠٥.
- **حسين طاهر محمود:** "أهمية الرحلات التجارية الأشورية إلى بلاد الأناضول فى توطيد الصلات الحضارية خلال الألف الثانى ق.م" ، مجلة دراسات موصلية ، عدد ٢٨ ، ٢٠١٠، ص٩٥-١٠٤.
- **رياض عبد الرحمن أمين الدوري:** السحر في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية ، منشورات الهيئة العامة للآثار والتراث ، ٢٠٠٩.
- **زياد عويد سويدان المحمدي:** التطورات السياسية في بلاد الرافدين "العهد الآشوري الوسيط" (١٣٦٥ – ٩١١) ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب ، جامعة بغداد.
- **سامى سعيد الأحمد:** "الإدارة ونظام الحكم ، حضارة العراق" ،ج٢، موسوعة حضارة العراق القديم ،ج٢، ١٩٨٥، ص٧-٣٨.
- _____: "بلاد بابل تحت الحكم الآشورى من صعود آشور بانيبان حتى وفاة شماش شوموكين" ، سومر ، مجلد ٤٤ ، ١٩٨٥-١٩٨٦، ص٥٥-٦٨.
- _____: "الأحلام فى العراق و العالم القديم"، مجلة المورد (مجلة تراثية فصلية تصدرها وزارة الإعلام–الجمهورية العراقية) ، مج ٢، عدد٢ ، ١٩٩٢، ص٤٧-٥٤.
- **سامية معوشي:** مؤسسة المعبد ودورها في حضارة وادي الرافدين سومر وبابل نموذجا ، رسالة ماجستيرغير منشورة ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر، ٢٠١٠.

- **سعد عبود سمار وباسم محمد حبيب:** "الأحوال السياسية لـ (أومّا)من العصر الأكدي حتى نهاية حكم سلالة أور الثالثة" ، لأرك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية ، العدد السادس ، ٢٠١١، ٤٣-٥٥.
- **سعد عبود سمار وعامر ناجي حسين:** "مجالس المدن في العراق القديم (٣٠٠٠-١٠٠٠ق.م) التأسيس والمهام" ، مجلة كلية التربية- جامعة واسط ، العدد الرابع عشر ، ٢٠١٣، ص١٣٧-١٧٠.
- **سعد عمر محمد أمين:** القرابين والنذور في العراق القديم ، دار الكتب والوثائق، العراق، ٢٠٠٦.
- **سعدون عبد الهادي وعقيل عبد الله ياسين:** "الصلات التجارية والثقافية بين حضارتي العراق والهند) في التاريخ القديم (٢٨٠٠-٥٣٩ق.م" ، مجلة كلية التربية جامعة واسط ، العدد العاشر، ٢٠١١، ص٢١٩-٢٢٨.
- **شاكر محمود إسماعيل:** " أثر الإنجاز الحضاري لمدينة الوركاء في حضارة العراق القديم"، مجلة الفتح العدد ٣٩، ٢٠٠٩، ص٢٢٢-٢٣٣.
- **شيماء علي النعيمي:** "من النشاطات الاقتصادية لمعابد بلاد أشور في العصر الأشوري الحديث(٩١١-٦١٢ ق. م) " ، دراسات موصلية ، عدد٣٠ ،بغداد، ٢٠١٠.
- **صالح حسين الرويح:** العبيد فى العراق القديم ، مطبعة اوفسيت الميناء -بغداد ، ١٩٧٧.
- **صفوان سامى سعيد:** التجارة في بلاد أشور خلال الألف الأول قبل الميلاد في ضوء المصادر المسمارية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب، جامعة الموصل ، ٢٠٠٦.
- **طه باقر:** "العلاقات بين العراق القديم وبلدان الشرق الأدنى" ، مجلة مؤتمر الآثار فى البلاد العربية ، العدد ١، ١٩٤٧، ٩٦- ١١٥.

- _____: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج١ ، ط٢ ، شركة التجارة والطباعة المحدودة ، بغداد، ١٩٥٥.
- _____: بابل وبورسبا ، مدرية الآثار العامة - بغداد ، ١٩٥٩.
- **عامر حنا فتوحى:** الكلديون ..الكلدان ...منذ بدء الخليقة (٥٣٠٠- حتى الآن) ، ط٢، الجمعية الثقافية الكلدانية ، سوريا، ٢٠٠٤.
- **عامر سليمان:** "نتائج حفريات جامعة الموصل في أسوار نينوى"، مجلة آداب الرافدين ،عدد٨، ديسمبر ١٩٧١، ص٤٥-٩٧.
- _____: الكتابة المسمارية ، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل ، ٢٠٠٠.
- **عباس على الحسينى:** مملكة إيسن بين الإرث السومري والسيادة الآمورية ، من منشورات اتحاد الكتاب العرب- دمشق ، ٢٠٠٤.
- **عبد الجبار محمود السامرائي:** "التجارة بين دلمون والبابليين القدماء ٢٠١٧ - ١٧٥٩ ق . م"، مجلة الوثيقة (مركز الوثائق التاريخية بالبحرين) ، عدد٥٥، ٢٠٠٩، ص٦٧ – ٨٣.
- **عبد العزيز أمين عبد العزيز:** "قوانين الأسرة فى بلاد النهرين دراسة تحليلية" ، مجلة كلية الآداب ،جامعة الزقازيق ، عدد ١١، ١٩٩٤، ص١٥٣-١٨٥.
- _____: "جرائم النفس والمال من خلال القوانين العراقية القديمة" ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الزقازيق ، عدد ٢١، ١٩٩٨، ص٩٧-١٣٧.
- _____: "قوانين المعاملات التجارية فى حضارة بلاد النهرين" ، مجلة الاتحاد العام للأثريين العرب ، عدد ٨، ٢٠٠٧، ص٤٣-٥٩.
- _____: "قوانين الإيجارات والأجور فى حضارة العراق القديم" ، المؤتمر الدولى "الجيزة عبر العصور

دراسات فى الآثار والترميم والبيئة والسياحة" ، ٤-٦ مارس ٢٠٠٨، ج٢، ص٦٧-٨٢.

- _____: "العقوبات المشددة فى حضارة العراق القديم" ، مجلة معهد حضارات الشرق الأدنى القديم- جامعة الزقازيق، مج ١ عدد ١ ، ٢٠١٠، ص ٢٠٨-٢٢٥.
- _____: "أحكام الطلاق فى حضارتى مصر القديمة وبلاد النهرين" ، المؤتمر الدولى الأول (٩-١١ مارس ٢٠١٠) المعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى القديم - جامعة الزقازيق، المجلد الثانى ٢٠١٢، ص ١٤٩-١٦٢.
- **عبد العزيز صالح:** الشرق الأدنى القديم في مصر والعراق، ج ١، مكتبة دار الزمان.
- **غيث حبيب خليل:** "العلاقات السياسية الآشورية في عهد الملك آشور أوبلط الأول (١٣٦٥- ١٣٣٠ ق.م)"، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية ، مج ٢٠ ، العدد١٠- ب ، ٢٠١٣، ص ٣٤٩-٣٧٣.
- **غيث سليم فرحان:** نشوء سلالتي أكد وأور الثالثة تطورهما وسقوطهما ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة واسط ، ٢٠٠٥.
- **فاتن موفق فاضل:** الملوك المؤلهون في العراق القديم ، مجلة التربية والعلم – مج ٢٠، عدد ٤، ٢٠١٣، ص١-٣٣.
- _____: رموز أهم الآلهة في العراق القديم (دراسة تاريخية دلالية) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٢.
- **فارس عجيل جاسم الخالدي:** الزواج في العراق القديم دراسة تاريخيـة، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠١٢.
- **فاضل عبد الواحد على:** من سومر إلى التوراة ، سينا للنشر- القاهرة ، ١٩٩٦.

- **فاطمة جود الله:** سوريا نبع الحضارات "تاريخ وجغرافية اهم المواقع الاثرية" ، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق ، ١٩٩٩.
- **لمياء محمد على كاظم:** بلاد بابل (كاردونياش) في العهد الكشي (سلالة بابل الثالثة)، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٤.
- _____: "الوركاء مدينة الحضارة الخالدة"، مجلة جامعة بابل للعلوم الصرفة والتطبيقية ، مج ١٨ ، ٢٠١٠، ص ٢٢٢-٢٣٥.
- **محمد بيومي مهران:** تاريخ العراق القديم ، دار المعارف الجامعية ، الإسكندرية ،١٩٩٠.
- **محمد سياب محان:** المعاهدات السياسية فى العراق القديم ، ط٢، دار تموز- دمشق ، ٢٠١١.
- **محمد عبد الرحمن السيد:** الاتصالات الحضارية بين بلاد النهرين ومصر القديمة "في الفترة من العصر البابلي الوسيط حتى العصر البابلي الحديث"، رسالة دكتوراه غير منشورة ، المعهد العالي لحضارات الشرق الأدنى القديم ، جامعة الزقازيق ، ٢٠٠٥.
- **محمد عبد اللطيف محمد:** تاريخ العراق القديم حتى نهاية الألف الثالث ق.م ، مكتبة الإسكندرية ، ١٩٧٧.
- _____: المراكز التجارية الأشورية بوسط آسيا الصغرى فى العصر الأشوري القديم "من أواسط القرن العشرين إلى أواسط القرن الثامن عشر ق.م" ، الإسكندرية ، ١٩٨٤.
- **محمد عبدالله الحمادي:** "ماجان والعلاقات الاقتصادية مع وادي السند ، مؤتمر عمان والهند آفاق وحضارة"، جامعة السلطان قابوس٢٧ فبراير-١مارس ، ٢٠١١م، ص١-١٤.
- **محمد فهد القيسي:** تداول السلطة في العراق القديم إبان الألف الثالث قبل الميلاد ، دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع ،٢٠١١.

- **محمد كامل روكان:** "سقوط أور ونهاية العصر السومري في حضارة بلاد الرافدين"، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية" ، مج ١٢، عدد٤، ٢٠٠٩، ص١٥٥-١٦٤.
- **اركى الفونسو:** "ماردو (الاموريون) في نصوص ايبلا" ، ت: قاسم طوير، مجلة دراسات تاريخية ، عدد ٢١-٢٢، ١٩٨٦، ص١٧٧-١٨٠.
- **بوتس دانيال تي:** حضارة وادي الرافدين "الأسس المادية"، ت: كاظم سعد الدين، بغداد، ٢٠٠٦.
- **تيوفيل ميك وآخرون :** "النصوص الكاملة للشرائع" شريعة حمورابى واصل التشريع فى الشرق الأدنى القديم ، ت: أسامة سراس ، دار علاء الدين ، ط٢، دمشق ، ١٩٩٣
- **جرنى. ا.ر:** الحيثيون ، ت. محمد عبد القادر محمد ، مطبوعات البلاغ ، ١٩٦٣.
- **جورج بوييه شمار:** المسؤولية الجزائية فى الآداب الأشورية والبابلية ، ت: سليم الصويص ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام – بغداد ، ١٩٨١.
- **جورج كونتينو:** الحياة اليومية فى بلاد بابل واشور ، ت: سليم طه التكريتى وبرهان عبد التكريتى ، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد ، ١٩٨٦.
- **ديلابورت .ل:** بلاد ما بين النهرين الحضارتان البابلية والأشورية ، ت: محرم كمال ، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،١٩٩٧.
- **كرستوفر لوكاس:** حضارة الرقم الطينية وسياسة التربية والتعليم فى العراق القديم ، ت: يوسف عبد المسيح ثروت ، دار الجاحظ، بغداد ،١٩٨٠.
- **كلنغل هورست:** حمورابي البابلى وعصره ، ت: محمد وحيد خياطه ، دار المنارة للترجمة والنشر والتوزيع ، دمشق ،١٩٩٠.

- **ليو اوبنهايم:** بلاد ما بين النهرين ، ت: سعدى فيضى عبد الرازق ، دار الحرية ، بغداد، ١٩٨٨.
- **مجموعة من علماء الآثار السوفيت:** العراق القديم (دراسة تحليلية لأحواله الاقتصادية والاجتماعية) ، ت.سليم طه التكريتى ، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد ، ط٢، ١٩٨٦.
- **وادل .أ :** الأصول السومرية للحضارة المصرية ، ت: زهير رمضان ، الأهلية للنشر والتوزيع ،القاهرة ، ١٩٩٩.